الجزء الخامس عشر

علي بن محمد بن العباس أبو حيان

التوحيدي، شيرازي الأصل وقيل نيسابوري، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي، صوفي السمت والهيئة، وكان يتأله والناس على ثقة من دينه، قدم بغداد فأقام بها مدة ومضى إلى الري، وصحب الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد وقبله أبا الفضل بن العميد فلم يحمدهما وعمل في مثالبهما كتاباً، وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه، فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شانه، والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً محارفاً يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه.

ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب، ولا دمجه في ضمن خطاب، وهذا من العجب العجاب، غير أن أبا حيان ذكر نفسه في كتاب الصديق والصداقة وهو كتاب حسن نفيس بما قال فيه: كان سبب إنشاء هذا الكتاب الرسالة في الصديق والصداقة: أنّى ذكرت منها شيئاً لزيد بن رفاعة أبي الجبر، فنماه إلى ابن سعدان أبي عبد الله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة وتدبيره أمر الوزارة فقال لي ابن سعدان: قال لي عنك زيد كذا وكذا، قلت: قد كان ذاك. فقال لي: دون هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم، فإن حديث الصديق حلو، ووصف الصاحب المساعد مطرب، فجمعت ما في هذه الرسالة وشغل عن رد القول فيها، وبطؤت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان، فلما كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربعمائة، عثرت على المسودة وبيضتها، - وهذا

دليل على بقائه إلى ما بعد الأربعمائة -.
وفي كتاب الهفوات لابن الصابئ: وحكى أبو حيان قال: حضرت مائدة الصاحب بن عباد فقدمت مضيرة فأمعنت فيها فقال لي: يا أبا حيان، إنها تضر بالمشايخ. فقلت: إن رأى الصاحب أن يدع التطبب على طعامه فعل، فكأني ألقمته حجراً وخجل واستحيا ولم ينطق إلى أن فرغنا، ولأبي حيان تصانيف كثيرة منها: كتاب رسالة الصديق والصداقة، كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي، كتاب الامتناع والمؤانسة جزءان، كتاب الإشارات الإلهية جزءان، كتاب الزلفة جزء، كتاب المقابسة، كتاب رياض العارفين، كتاب تقريظ الجاحظ، كتاب ذم الوزيرين، كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي، كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة، كتاب الرسالة البغدادية، كتاب الرسالة الصوفية أيضاً، كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان، كتاب البصائر وهو عشر مجلدات كل مجلد له فاتحة وخاتمة، كتاب المحاضرات والمناظرات.
قال أبو حيان في كتاب المحاضرات: كنت بحضرة أبي سعيد السيرافي فوجدت بخطه على ظهر كتاب اللمع في شواذ التفسير - وكان بين يديه فأخذته ونظرت - قال: ذم أعرابي رجلاً فقال: ليس له أول يحمل عليه، ولا آخر يرجع إليه، ولا عقل يزكو به عاقل لديه، وأنشد:

حسبتك إنساناً على غير خـبـرة فكشفت عن كلب أكب على عظم
لحى الله رأياً قاد نحوك همـتـي فأعقبني طول المقام على الـذم

فقال لي: يا أبا حيان، ما الذي كنت تكتب؟ قلت: الحكاية التي على ظهر هذا الكتاب، فأخذها وتأملها وقال: تأبى إلا الاشتغال بالقدح والذم وثلب الناس. فقلت: أدام الله الإمتاع، شغل كل ناس بما هو مبتلى به مدفوع إليه.
قال أبو حيان: وقصدت مع أبي زيد المروزي دار أبي الفتح ذي الكفايتين فمنعنا من الدخول عليه أشد منع، وذكر حاجبه أنه يأكل الخبز فرجعنا بعد أن قال أبو زيد للحاجب: أجلسنا في الدهليز إلى أن يفرغ من الأكل فلم يفعل، فلما انصرفنا خزايا أنشأ يقول متمثلاً:

على خبز إسماعيل واقية البـخـل فقد حل في دار الأمان من الأكـل
وما خبزه إلا كـآوى ولم ير آوى في

يرى ابـنـه الحزون ولا السهل
وما خبزه إلا كعنـقـاء مـغـرب تصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غـير رؤية سوى صورة ما إن تمر ولا تحلى

قال أبو حيان: وأنشدنا أبو بكر القومسي الفيلسوف وكان بحراً عجاجاً، وسراجاً وهاجاً، وكان من الضر والفاقة، ومقاساة الشدة الإضاقة بمنزلة عظيمة، عظيم القدر عند ذوي الأخطار، منحوس الحظ منهم، متهماً في دينه عند العوام مقصوداً من جهتهم. فقال لي يوماً: ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان نا بلغ مني، إن قصدت دجلة لأغتسل منها نضب ماؤها، وإن خرجت إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلداً أملس، وكأن العطوى ما أراد بقصيدته غيري، وما عنى بها سواي، ثم أنشدنا للعطوى:

من رمـاه الإلـه بـالإقـتـار وطلاب الغنى من الأسـفـار
هو في حيرة وضنـك وإفـلا س وبؤس ومحنة وصـغـار
يا أبا القاسم الذي أوضح الجـو د إليه مـقـاصـد الأحـرار
خذ حديثي فإن وجهي مـذ بـا رز هذا الأنام في ثـوب قـار
وهو للسامعين أطيب من نـف ح نسيم الرياض غب القطـار
هجم البرد مسرعاً ويدي صف ر وجسمي عار بغـير دثـار
فتسترت منه طول التـشـاري ن إلى أن تهتكـت أسـتـاري
ونسجت الأطمار بالخيط والإب رة حتى عريت من أطمـاري
وسعى القمل من دروز قميصي من صغار ما بينهم وكـبـار
يتساعون في ثـيابـي إلـى رأ سي قطاراً تجول بعد قطـار

ثم وافى كانون واسود وجهـي وأتاني ما كان منـه حـذاري
لو تأملت صورتي ورجوعـي حين أمسي إلى ربوع قـفـار
أنا وحدي فيه وهل فيه فضـل لحلـوس الأنـيس والـزوار؟
والخلا لا يراد فيه فـمـالـي أبداً حـاجة إلـى الـحـفـار
بل يراد الخلا لمنحـدر الـنـج و وما ذقت لقمة فـي الـدار
وإذا لم تدر على المطعـم الأف وه سدت متاعـب الأحـجـار

وقلت له يوماً: لو قصدت ابن العميد وابن عباد عسى تكون من جملة من ينفق عليهما وتحظى لديهما، فأجابني بكلام منه: معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجهال والتيوس، والصبر على الوخم الوبيل أولى من النظر إلى محيا كل ثقيل، ثم أنشأ يقول:

بيني وبين لئام الناس مـعـتـبة ما تنقضي وكرام الناس إخواني
إذا لقيت لئيم القوم عنـفـنـي وإن لقيت كريم القوم حـيانـي

وقلت له: هل تعرف في معنى قصيدة العطوى أخرى؟ قال نعم، قصيدة الحراني صاحب المأمون. فقلت: لو تفضلت بإنشادها، فقال: خذ في حديث من أقبلت عليه دنياه وتمكن فيها من مناه، ودع حديث الحرف والعسر والشؤم والخسر تطيراً إن لم ترفضه تأدباً. فقلت له: ما أعرف لك شريكاً فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواي، ولقد استولى على الحرف وتمكن مني نكد الزمان إلى الحد الذي لا أسترزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق البليد الذي ينسخ النسخ، ويمسخ الأصل والفرع، وقصدت ابن عباد بأمل فسيح وصدر رحيب، فقدم إلى رسائله في ثلاثين مجلدة على أن أنسخها له، فقلت: نسخ مثله يأتي على العمر والبصر، - والوراقة كانت موجودة ببغداد - فأخذ على نفسه على من ذلك، وما فزت بطائل من جهته. فقال: بلغني ذلك فقلت له: ولو كان شيئاً يرتفع من اليد بمدة قريبة لكنت لا أتعطل وأتوفر عليه، ولو قرر معي أجرة مثله لكنت أصبر عليه، فليس لمن وقع في شر الشباك وعين الهلاك إلا الصبر.
قال أبو حيان: ودخلت على الدلجى بشيراز وكنت قد تأخرت عنه أياماً، وهذا الكتاب يعني كتاب المحاضرات جمعه له بعد ذلك، ولأجله أتعبت نفسي، فقال لي: يا أبا حيان، من أين؟ فقلت:

إذا شئت أن تقلى فزر متواتـراً وإن شئت أن تزداد حباً فزر غباً

وهذا لملاك ظهر لي منه، وقليل إعراض عني في يوم. فقال لي: ما هذا البيت إلا بيت جيد يعرفه الخاص والعام، وهو موافق لما يذكر من أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال:)زر غباً تزدد حباً(. فلو كان لهذا البيت أخوات كان أحسن من أن يكون فرداً. قلت فله أخوات.
قال: فأنشدني. قلت لا أحفظها، قال: فأخرجها، قلت: لا أهتدي إليها. قال: فمن أين عرفتها؟
قلت:مرت بي في جملة تعليقات. قال: فاطلبها لأقدم رسمك. قلت: فقدمه الآن على شريطة أنه إذا جاء الوقت المعتاد إطلاقه فيه كل سنة أطلقت أيضاً. قال: أفعل. قلت: فخذها الآن.
سمعت العروضي أبا محمد يقول: دخل بعض الشعراء على عيسى بن موسى الرافقى وبين يديه جارية يقال لها خلوب فقال لها اقترحي عليه، فقالت:

إذا شئت أن تقلى فزر متوتراً — وإن شئت أن تزداد حباً فزر غباً

أجزه بأبيات تليق به فأنشد:

بقيت بلا قـلـب فـإنـي هـائم — فهل من معير يا خلوب لكم قلباً؟
حلفت برب البيت أنك مـنـيتـي — فكوني لعيني ما نظرت لها نصباً
عسى الله يوماً أن يرينيك خـالـياً — فيزداد لحظي من محاسنكم عجباً
إذا شئت أن تقلى فزر متـوتـراً — وإن شئت أن تزداد حباً فزر غباً

فأنجز لي ما وعد، و وفى بما شرط، وكان ينفق عليه سوق العلم مع جنون كان يعتريه، ويتخبط في أكثر أوقاته فيه، وليت مع هذه الحالة خلف لنفسه شكلاً، أو نرى له في وقتنا هذا مثلاً، بارت البضائع، وغارت البدائع، وكسد سوق العلم، وخمد ذكر الكرم، وصار الناس عبيد الدرهم بعد الدرهم. وكان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخره عمره لقلة جدواها، وضنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته.
وكتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه، ويعرفه قبح ما اعتمد من الفعل وشنيعه.
فكتب إليه أبو حيان يعتذر من ذلك: حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك، وأعاذني من مكافأتك على ذلك، وأجارنا جميعاً مما سود وجه

عهد إن رعيناه كنا مستأنسين به، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله، وأدام الله نعمته عندك، وجعلني على الحالات كلها فداك. وأفاني كتابك غير محتسب ولا متوقع على ظمأ برح بي إليه، وشكرت الله تعالى على النعمة به علي، وسألته المزيد من أمثاله، الذي وصفت فيه بعد ذكر الشوق إلي، والصبابة نحوي ما نال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذي نمى إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار وغسلها بالماء، فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك، كأنك لم تقرأ قوله جل وعز:)كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون(، وكأنك لم تأبه لقوله تعالى:)كل من عليها فان(. وكأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشيء من الدنيا وإن كان شريف الجوهر كريم العنصر، ما دام مقلباً بيد الليل والنهار، معروضاً على أحداث الدهر وتعاود الأيام، ثم إني أقول: إن كان - أيدك الله - قد نقب خفك ما سمعت، فقد أدمى أظلي ما فعلت، فليهن عليك ذلك، فما انبريت له ولا اجترأت عليه حتى استخرت الله عز وجل فيه أياماً وليالي، وحتى أوحى إلي في المنام بما بعث راقد العزم، وأجد فاتر النية، وأحيا ميت الرأي، وحث على تنفيذ ما وقع في الروع وتريع في الخاطر، وأنا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبت، أو بالعذر إن استوضحت، لتثق بي فيما كان مني، وتعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي: إن العلم - خاطك الله - يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم كلاً على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلاً وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه علاً - وهذا ضرب من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار - ثم اعلم علمك الله الخير أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سراً فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغباً، وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالباً، على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله، - ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطه بناصيتي، وربطه بأمري -، وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حجة علي لا لي، ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب

عنه، أني فقدت ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً، ورئيساً منيباً، فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشتمون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها، فإن قلت ولم تسمهم بسوء الظن، ونقرع جماعتهم بهذا العيب؟ فجوابي لك أن عياني منهم في الحياة هو الذي يحقق ظني بهم بعد الممات، وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد؟ ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم، ويطرح في قلب صاحبه الألم، وأحوال الزمان بادية لعينك، بارزة بين مسائك وصباحك، وليس ما قلته بخاف عليك مع معرفتك وفطنتك، وشدة تتبعك وتفرغك، وما كان يجب أن ترتاب في صواب ما فعلته وأتيته بما قدمته ووصفته، وبما أمسكت عنه وطويته إما هرباً من التطويل، وإما خوفاً من القال والقيل.وبعد فقد أصبحت هامة اليوم أو غد فإني في عشر التسعين، وهل لي بعد الكبرة والعجز أمل في حياة لذيذة؟ أو رجاء لحال جديدة، ألست زمرة من قال القائل فيهم:

نروح ونغدو كل يوم ولـيلة وعما قليل لا نروح ولا نغدو

وكما قال الآخر:

تفوقت درات الصبا في ظلاله إلى أن أتاني بالفطام مشـيب

وهذا البيت للورد الجعدي وتمامه يضيق عنه هذا المكان، والله يا سيدي لو لم أتعظ إلا بمن فقدته من الإخوان والأخدان في هذا الصقع من الغرباء والأدباء والأحباء لكفى، فكيف بمن كانت العين تقربهم، والنفس تستنير بقربهم، فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والري، وما والى هذه المواضع، وتواتر إلى نعيهم، واستدت الواعية بهم، فهل أنا إلا من

عنصرهم؟ وهل لي محيد عن مصيرهم؟ أسأل الله تعالى رب الأولين أن يجعل اعترافي بما أعرفه موصولاً بنزوعي عما أقترفه، إنه قريب مجيب.
وبعد، فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم، ويؤخذ بهديهم، ويعشى إلى نارهم، منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثر. وهذا داود الطائي، وكان من خيار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر وقال يناجيها: نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخمول.
وهذا يوسف بن أسباط: حمل كتبه إلى غار في جبل وطرحه فيه وسد بابه، فلما عوتب على ذلك قال: دلنا العلم في الأول ثم كاد يضلنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه، وكرهناه من أجل ما أردناه.
وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك.
وهذا سفيان الثوري: مزق ألف جزء وطيرها في الريح وقال: ليت يدي قطعت من ها هنا ولم أكتب حرفاً.
وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيد العلماء قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنار. وماذا أقول وسامعي يصدق أن زماناً أحوج مثلي إلى ما بلغك، لزمان تدمغ له العين حزناً وأسى، ويتقطع عليه القلب غيظاً وجوىً وضنىً وشجىً، وما يصنع بما كان وحدث وبان، إن احتجت إلى العلم في خاصة نفسي فقليل، والله تعالى شافٍ كافٍ، وإن احتجت إليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ القرطاس بعد القرطاس، إلى أن تفنى الأنفاس بعد الأنفاس،)ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون(. فلم تعنّى عيني أيدك الله بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح وبالسواد والبياض، وهل أدرك السلف الصالح في الدين الدرجات العلى إلا بالعمل الصالح، وإخلاص المعتقد والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا وخدع بالزبرج، وهوى بصاحبه إلى الهبوط؟ وهل وصل الحكماء

القدماء إلى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد في السعي، وإلا بالرضا بالميسور، وإلا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم، فأين يذهب بنا وعلى أي باب نحط رحالنا؟؟ وهل جامع الكتب إلا كجامع الفضة والذهب؟ وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليهما؟ وهل المغرم بحبها إلا كمكاثرهما؟ هيهات، الرحيل والله قريب، والثواء قليل، والمضجع مقض والمقام ممض، والطريق مخوف والمعين ضعيف، والاغترار غالب، والله من وراء هذا كله طالب، نسأل الله تعالى رحمة يظلنا جناحها، ويسهل علينا في هذه العاجلة غدوها ورواحها، فالويل كل الويل لمن بعد عن رحمته بعد أن حصل تحت قدره، فهذا هذا، ثم إني - أيدك الله - ما أردت أن أجيبك عن كتابك لطول جفائك، وشدة التوائك عمن لم يزل على رأيك مجتهداً وفي محبتك على قربك ونأيك، مع ما أجده من انكسار النشاط وانطواء الانبساط لتعاود العلل علي وتخاذل الأعضاء مني، فقد كل البصر وانعقد اللسان وجمد الخاطر وذهب البيان، وملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس، ولكني حرست منك ما أضعته مني، ووفيت لك بما لم تف به لي، ويعز علي أن يكون لي الفضل عليك، أو أحرز المزية دونك، وما حداني على مكاتبتك إلا ما أتمثله من تشوقك إلي وتحرقك علي، وأن الحديث الذي بلغك قد بدد فكرك، وأعظم تعجبك، وحشد عليك جزعك، والأول يقول:

وقد يجزع المرء الجليد ويبتـلـى ... عزيمة رأى المرء نائبة الـدهـر
تعـاوده الأيام فـيمـا ينـوبــه ... فيقوى على أمرٍ ويضعف عن أمر

على أني لو علمت في أي حال غلب علي ما فعلته، وعند أي مرض وعلى أية عسرة وفاقةٍ لعرفت من عذري أضعاف ما أبديته، واحتججت لي بأكثر مما نشرته وطويته، وإذا أنعمت النظر تيقنت أن لله جل وعز في خلقه أحكاماً لا يعاز عليها ولا يغالب فيها، لأنه لا يبلغ كنهها ولا ينال غيبها، ولا يعرف قابها ولا يقرع بابها، وهو تعالى أملك لنواصينا، وأطلع على أدانينا وأقاصينا، له الخلق والأمر، وبيده الكسر والجبر،

وعلينا الصمت والصبر إلى أن يوارينا اللحد والقبر، والسلام. إن سرك جعلني الله فداك أن تواصلني بخبرك، وتعرفني مقر خطابي هذا من نفسك فافعل، فإني لا أدع جوابك إلى أن يقضي الله تعالى تلاقياً يسر النفس، ويذكر حديثنا بالأمس، أو بفراق نصير به إلى الرمس، ونفقد معه رؤية هذه الشمس، والسلام عليك خاصاً بحق الصفاء الذي بيني وبينك، وعلى جميع إخوانك، عاماً بحق الوفاء الذي يجب علي وعليك، والسلام.

وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة أربعمائة. قال أبو حيان في كتاب أخلاق الوزيرين في تصنيفه: طلع ابن عباد علي يوماً في داره وأنا قاعد في كسر إيوان أكتب شيئاً قد كان كأدني به، فلما أبصرته قمت قائماً فصاح بحلق مشقوق: اقعد فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا، فهممت بكلام فقال لي الزعفراني الشاعر: اسكت فالرجل رفيع، فغلب علي الضحك واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه، لأنه كان قد قال هذا وقد لوى شدقه، وشنج أنفه وأمال عنقه، واعترض على انتصابه وانتصب في اعتراضه، وخرج في تفكك مجنون قد أفلت من دير جنون، والوصف لا يأتى على كنه هذه الحال، لأن حقائقها لا تدرك إلا باللحظ، ولا يؤتى عليها باللفظ، فهذا كله من شمائل الرؤساء وكلام الكبراء، وسيرة أهل العقل والرزانة لا والله، وترباً لمن يقول غير هذا.

وحدث أبو حيان قال: قال الصاحب يوماً فعل وأفعال قليل، وزعم النحويون أنته ما جاء إلا زند وأزناد، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد.. فقلت له: أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها فقل وأفعال، فقال: هات يا مدعي، فسردت الحروف ودللت على مواضعها من الكتب ثم قلت: ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا الحكم إلا بعد التبحر والسماع الواسع، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً وهذا كقولهم: فعيل على عشرة أوجه، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجهاً وما انتهيت في التتبع إلى أقصاه. فقال: خروجك من دعواك في فعل يدلنا على قيامك في فعيل ولكن لا نأذن لك في اقتصاصك، ولا نهب

آذاننا لكلامك، ولم يف ما أتيت به بجرأتك في مجلسنا، وتبسطك في حضرتنا فهذا كما ترى.
قال أبو حيان: وأما حديثي معه يعني مع ابن عباد، فإنني حين وصلت إليه. قال لي: أبو من؟ قلت: أبو حيان. فقال: بلغني أنك تتأدب، فقلت: تأدب أهل الزمان. فقال: أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف؟ قلت: إن قبله مولانا لا ينصرف، فلما سمع هذا تنمر وكأنه لم يعجبه، وأقبل على واحد إلى جانبه وقال له بالفارسية سفهاً على ما قيل لي ثم قال: الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب. فقلت: أنا سامع مطيع، ثم إني قلت لبعض الناس في الدار مسترسلاً: إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب وزاحمت منتجعي هذا الربيع لأتخلص من حرفة الشؤم، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة، فنمى إليه هذا أو بعضه أو على غير وجهه فزاده تنكراً.
قال أبو حيان:وقال لي ابن عباد يوماً يا أبا حيان: من كناك بأبي حيان؟ قلت: أجل الناس في زمانه، وأكرمهم في وقته، قال: ومن هو ويلك؟ قلت: أنت، قال: ومتى كان ذلك؟ قلت: حين قلت يا أبا حيان من كناك أبا حيان، فأضرب عن هذا الحديث وأخذ في غيره على كراهة ظهرت عليه.
قال: وقال لي يوماً آخر - وهو قائم في صحن داره والجماعة قيام منهم الزعفراني وكان شيخاً كثير الفضل جيد الشعر ممتع الحديث، والتميمي المعروف بسطل وكان من مصر، والأقطع وصالح الوراق وابن ثابت وغيرهم من الكتاب والندماء -: يا أبا حيان: هل تعرف فيمن تقدم من يكنى بهذه الكنية؟ قلت: نعم من أقرب ذلك أبو حيان الدارمي.
حدثنا أبو بكر محمد بن محمد القاضي الدقاق قال: حدثنا ابن الأنباري قال: حدثنا أبي حدثنا ابن ناصح قال: دخل أبو الهذيل العلاف على الواثق فقال له الواثق: لمن تعرف هذا الشعر؟:

سباك مـن هـذشـم سـلـيل ليس إلى وصـلـه سـبـيل
من يتعاط الـصـفـات فـيه فالقول في صفـه فـضـول

للحسن في وجهه هلال لأعين الخلق لا يزول
وطرة ما يزال فيها لنور بدر الدجى مقيل
ما اختال في صحن قصر أوس إلا ليسجى له قتيل
فإن يقف فالعيون نصب وإن تولى فهن حول

فقال أبو الهذيل: يا أمير المؤمنين، هذا لرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي، وكان يقول بإمامة المفضول، وله من كلمة يقول فيها:

أفضله والله قدمه على صحابته بعد النبي المكرم
بلا بغضة والله مني لغيره ولكنه أولاهم بالتقدم

وجماعة من أصحابنا قالوا: أنشد أبو قلابة عبد الله ابن محمد الرقاشي لأبي حيان البصري:

يا صاحبي دعا الملام وأقصرا ترك الهوى يا صاحبي خساره
كم لمت قلبي كي يفيق فقال لي لجت يمين ما لها كفاره

ألا أفيق ولا أفتر لحظة إن أنت لم تعشق فأنت حجاره
ألحب أول ما يكون بنظرة وكذا الحريق بداؤه بشراره
يا من أحب ولا أسمى باسمها إياك أعنى فاسمعي يا جاره

فلما وفيت الشعر ورويت الإسناد وريقي بليل ولساني طلق ووجهي متهلل، وقد تكلفت هذا وأنا في بقية من غرب الشباب وبعض ريعانه، وملأت الدار صياحاً بالرواية والقافية، فحين انتهيت أنكرت طرفه، وعلمت سوء موقع ما رويت عنده، قال: ومن تعرف أيضاً، قلت ابن الجعابي الحافظ، يكنى بأبي حيان، رجل صدق وهو يروي عن التابعين. قال: ومن تعرف أيضاً؟ قلت: روى الصولي فيما حدثنا عنه المرزباني أن معاوية لما احتضر أنشد يزيد عند رأسه متمثلاً:

لو أن حيا نجا لفـات أبـو حيان لا عاجز ولا وكـل
الحول القلب الأريب وهل يدفع صرف المنية الحيل؟

قال الصولي: وهذا كان من المعمرين المغفلين، وانتهى الحديث من غير هشاشة ولا هزة ولا أريحية، بل على اكفهرار وجه ونبو طرف وقلة تقبل، وجرت أشياء أخر كان عقباها أني فارقت بابه سنة سبعين وثلاثمائة راجعاً إلى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد، احمل هذا على ما أردت، ولما نال مني هذا الحرمان الذي قصدني به وأحفظني عليه، وجعلني من جميع غاشيته فرداً أخذت أملي في ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه، والبادئ أظلم، وللأمور أسباب، والأسباب أسرار، والغيب لا يطلع عليه ولا قارع لبابه.

قال أبو حيان: قال لي الصاحب يوماً - وهو يحدث عن رجل أعطاه شيئاً فتلكأ في قبوله -: ولا بد من شيء يعين على الدهر ثم قال: سألت جماعةً عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك. فقلت: أنا أحفظ ذاك، فنظر بغضب فقال: ما هو؟ قلت: نسيت، فقال: ما أسرع ذكرك من نسيانك! قلت: ذكرته والحال سليمة، فلما استحالت عن السلامة نسيت. قال: وما حيلولتها؟ قلت: نظر الصاحب بغضب فوجب في حسن الأدب ألا يقال ما يثير الغضب. قال: ومن تكون حتى نغضب عليك؟ دع هذا وهات، قلت قول الشاعر:

ألام على أخذ القـلـيل وإنـمـا أصادف أقواماً أقل مـن الـذر
فإن أنا لم آخذ قليلاً حـرمـتـه ولا بد من شيء يعين على الدهر

فسكت. قال أبو حيان عند قربه من فراغ كتابه في ثلب الوزرين وقد حكى عن ابن عباد حكايات وأسندها إلى من أخبره بها عنه ثم قال: فما ذنبي أكرمك الله إذا سألت عنه مشايخ الوقت وأعلام العصر؟ فوصفوه بما جمعت لك في هذا المكان، على أني قد سترت شيئاً كثيراً من مخازيه إما هرباً من الإطالة، أو صيانةً للقلم عن رسم الفواحش وبث الفضائح، وذكر ما يسمج مسموعه. ويكره التحدث به، وهذا سوى ما فاتني من حديثه فإني فارقته سنة سبعين وثلاثمائة. وما ذنبي أن ذكرت عنه ما جرعنيه من مرارة الخيبة بعد الأمل، وحملني عليه من الإخفاق بعد الطمع، مع الخدمة الطويلة والوعد المتصل والظن الحسن، حتى كأني خصصت بخساسته وحدي، أو وجب أن أعامل به دون غيري، قدم إلي نجاح الخادم وكان ينظر في خزانة كتبه ثلاثين مجلدة من رسائله وقال: يقول لك مولانا: انسخ هذا فإنه قد طلب منه بخراسان. فقلت

بعد ارتياءٍ: هذا طويل، ولكن لو أذن لي لخرجت منه فقراً كالغرر، وشذوراً كالدرر، تدور في المجالس كالشمامات والدستنبوبهات، لو رقي بها مجنون لأفاق، أو نفث على ذي عاهة لبرأ، لا تمل ولا تستغث، ولا تعاب ولا تسترك، فرفع ذلك إليه وأنا لا أعلم فقال: طعن في رسائلي وعابها، ورغب عن نسخها وأزرى بها، والله لينكرن مني ما عرف، وليعرفن حظه إذا انصرف، حتى كأني طعنت في القرآن، أو رميت الكعبة بخرق الحيض، أو عقرت ناقة صالح، أو سلحت في بئر زمزم، أو قلت كان النظام مأبوناً، أو مات أبو هاشم في بيت خمار، أو كان عباد معلم صبيان. وما ذنبي يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا الكلب؟ حتى أعذره في لومي على الامتناع، أينسخ إنسان هذا القدر وهو يرجو بعدها أن يمتعه الله ببصره؟ أو ينفعه ببدنه؟. وما ذنبي إذا قال لي: من أين لك هذا الكلام المفوف المشوف الذي تكتب به إلي في الوقت بعد الوقت؟ فقلت: وكيف لا يكون كما وصف مولانا؟ وأنا أقطف ثمار رسائله، وأستقي من قليب علمه، وأشيم بارقة أدبه، وأرد ساحل بحره، وأستوكف قطر مزنه، فيقول: كذبت وفجرت لا أم لك، ومن أين في كلامي الكدية والشحذ والتضرع والاسترحام؟ كلامي في السماء، وكلامك في السماد، هذا - أيدك الله - وإن كان دليلاً على سوء جدي، فإنه دليل أيضاً على انخلاعه وخرقه، وتسرعه ولؤمه، وانظر كيف تستحيل معي عن مذهبه الذي كان هو عرقه النابض، وسوسه الثابت، وديدنه المألوف، وهذا أجراني مجرى التاجر المصري والشاذباشي وفلان وفلان، بل ما ذنبي إذا قال لي: هل وصلت إلى ابن العميد أبي الفتح؟ فأقول: نعم، رأيته وحضرت مجلسه وشاهدت ما جرى له، وكان من حديثه فيما مدح به كذا وكذا، وفيما تقدم منه كذا وكذا، وفيما تكلفه من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا وكذا، ووصل أبا سعيدٍ السيرافي بكذا وكذا، ووهب لأبي سليمان المنطقي كذا وكذا فينزوي وجهه، وينكر حديثه، وينجذب إلى شيء آخر ليس مما شرع فيه ولا مما حرك له ثم يقول: أعلم أنك إنما

انتجعته من العراق، فاقرأ علي رسالتك التي توسلت إليه بها وأسهبت مقرظاً له فيها، فأتمانع فيأمر ويشدد فأقرأها فيتغير ويذهل وأنا أكتبها لك ليكون زيادة في الفائدة: بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم هيئ لي من أمري رشداً، ووفقني لمرضاتك أبداً، ولا تجعل الحرمان علي رصداً، أقول وخير القول ما انعقد بالصواب، وخير الصواب ما تضمن الصدق، وخير الصدق ما جلب النفع، وخير النفع، ما تعلق بالمزيد، وخير المزيد ما بدا عن الشكر، وخير الشكر، ما بدا عن إخلاص، وخير الإخلاص ما نشأ عن اتفاق، وخير الاتفاق ما صدر عن توفيق، لما رأيت شبابي هرماً بالفقر، وفقري غنياً بالقناعة، وقناعتي عجزاً عند أهل التحصيل، عدلت إلى الزمان أطلب إليه مكاني فيه وموضعي منه، فرأيت طرفه نابياً، وعنانه عن رضاي منثنياً، وجانبه في مرادي خشناً، وارتقائي في أسبابه نائياً، والشامت بي على الحدثان متمادياً، طمعت في السكوت تجلداً، وانتحلت القناعة رياضةً، وتألفت شارد حرصي متوقفاً، وطويت منشور أملي متنزهاً، وجمعت شتيت رجائي سالياً، وادعيت الصبر مستمراً، ولبست العفاف ضناً، واتخذت الانقباض صناعة، وقمت بالعلاء مجتهداً، هذا بعد أن تصفحت الناس فوجدتهم أحد رجلين: رجل إن نطق عن غيظ ودمنةٍ وإن سكت سكت عن ضغن وإحنةٍ، ورجل إن بذل كدر بامتنانه بذله، وإن منع حسن باحتياله بخله، فلم يطل دهري في أثنائه، متبرحاً بطول الغربة وشظف العيش، وكلب الزمان وعجف المال، وجفاء الأهل وسوء الحال، وعادية العدو وكسوف البال، متحرقاً من الحنق على لئيم لا أجد مصرفاً عنه، متقطعاً من الشوق إلى كريم لا أجد سبيلاً إليه، حتى لاحت لي غرة الأستاذ فقلت: حل بي الويل، وسال بي السيل، أين أنا عن ملك الدنيا، والفلك الدائر بالنعمى؟ أين أنا من مشرق الخير ومغرب الجميل؟ أين أنا من بدر البدور وسعد السعود؟ أين أنا عمن يرى البخل كفراً صريحاً، والإفضال ديناً صحيحاً؟ أين أنا عن سماء لا تفتر عن الهطلان، وعن بحر لا يقذف إلا باللؤلؤ والمرجان؟ أين أنا من فضاء لا يشق غباره، وعن حرم لا يضام جاره؟ أين أنا عن منهل لا صدر

لفراطه، ولا منع لوراده؟ أين أنا عن ذوب لا شوب فيه، وعن صوب لا جدد دونه؟ بل أين أنا عمن أتى بنبوة الكرم، وإمامة الإفضال، وشريعة الجود، وخلافة البذل، وسياسة المجد، بشيمةٍ مشيمة البوارق، ونفس نفيسة الخلائق؟ أين أنا عن الباع الطويل، والأنف الأشم، والمشرب العذب، والطريق الأمم؟ لم لا أقصد بلاده؟ لم لا أقتدح زناده؟ لم لا أنتجع جنابه وأرعى مزاده؟ لم لا أسكن ربعه؟ لم لا أستدعي نفعه؟ لم لا أخطب جوده وأهتصر عوده؟ لم لا أستمطر سحابه؟ لم لا أستسقي ربابه؟ لم لا أستميح نيله وأستسحب ذيله؟ ولا أحج كعبته، وأستلم ركنه؟ لم لا أصلي إلى مقامه مؤتماً بإمامه؟ لم لا أسبح ببنانه متقدساً؟

فتىً صيغ من ماء الشبيبة وجهه فألفاظه جود وأنفاسه مـجـد

لم لا أقصد فتىً للجود في كفه من البحر عينان نضاختان؟ لم لا أمتري معروف

فتىً لا يبالي أن يكون بجسمه إذا نال خلات الكرام شحوب

لم لا أمدح

فتىً يشتري حسن المقال بروحه ويعلم أعقاب الأحاديث في غد؟

نعم لم لا أنتهي من تقريظ فتىً لو كان من الملائكة لكان من المقربين، ولو كان من الأنبياء لكان من المرسلين، ولو كان من الخلفاء لكان نعته اللائذ بالله، أو المنصف في الله، أو المعتضد بالله، أو المنتصب لله، أو الغاضب لله أو الغالب بالله، أو المرضي لله، أو الكافي بالله، أو الطالب بحق الله، أو المحيي لدين الله. أيها المنتجع قرن كلئه، المختبط ورق نعمته، ارع عريض البطان، متفيئاً بظله ناعم البال، متعوذاً بعزه، وعش رخي لحال، معتصماً بحبله، ولذ بداره آمن السرب، وامحض وده بآنية القلب، وق نفسك من سطوته بحسن الحفاظ، وتخير له ألطف المدح، تفز منه بأيمن قدح، ولا تحرم نفسك بقولك: إني غريب المثوى نازح الدار، بعيد النسب منسي المكان، فإنك قريب الدار بالأمل، داني النجح بالقصد، رحيب الساحة بالمنى، ملحوظ الحال بالجد، مشهور الحديث بالدرك. واعلم علماً يلتحم باليقين، وتدرأ من الشك أنه

معروف الفخر بالمفاخر، مأثور الأثر بالمآثر، قد أصبح واحد الأنام تاريخ الأيام، أسد الغياض يوم الوغى، نور الرياض يوم الرضا، إن حرك عند مكرمة تحرك غصناً تحت بارحٍ، وإن دعي إلى اللقاء دعي ليثاً فوق سابح، وقل إذا أتيته بلسان التحكم: أصلح أديمي فقد حلم، وجدد شبابي فقد هرم، وأنطق لساني في اصطناعي، فقد شردت صحائف النجح عند انتجاعي، ورش عظمي فقد براه الزمان، واكس جلدي فقد عراه الحدثان، وإياك أن تقول: يا مالك الدنيا جد لي ببعض الدنيا فإنه يحرمك، ولكن قل: يا مالك هب لي الدنيا، اللهم فأحي به بلادك، وأنعش برحمته عبادك، وبلغه مرضاتك، وأسكنه فردوسك، وأدم له العز النامي، والكعب العالي، والمجد التليد والجد السعيد، والحق الموروث، والخير المبثوث، والولي المنصور، والشانئ المبتور، والدعوة الشاملة والسجية الفاضلة، والسرب المحروس، والربع المأنوس، والجناب الخصيب، والعدو الحريب، والمنهل القريب، واجعل أولياءه بازلين لطاعته، ناصرين لأعزته، ذابين عن حرمه، والقمر المنير بالجمال، والنجم الثاقب بالعلم، والكوكب الوقاد بالجود، والبحر الفياض بالمواهب، سقط العشاء بعبدك على سرحك، فاقره من نعمتك بما يضاهي قدرك وقدرتك، وزوج هبة ربها من الغنى، فطالما خطب كفؤها من المنى. ثم يقال لي من بعد: جنيت على نفسك حين ذكرت عدوه عنده بخير، وأثنيت عليه وجعلته سيد الناس. فأقول: كرهت أن تراني متذرباً على عرض رجل عظيم الخطب، غير مكترث بالوقيعة فيه والإنحاء عليه، وقد كان يجوز أن أشعث من ذلك شيئاً، وأبري من أثلته جانباً، وأطير إلى جنبه شرارة، فيقال أيضاً: جنيت على نفسك، تركت الاحتياط في أمرك، فإنه مقتك وعافك، ورأى أنك في قولك عدوت طورك، وجهلت قدرك، ونسيت وزرك، وليس مثلك من هجم على ثلب من بلغ رتبة ذلك الرجل، وإنك متى جسرت على هذا وزنت به، وجعلت غيره في قرنه، فإذا كانت هذه الحالات ملتبسة، وهذه العواقب مجهولةً، فهل يدور العمل بعدها إلا على الإحسان الذي هو علة المحبة؟ والمحبة التي هي علة الحمد،

والإساءة التي هي علة البغض، والبغض الذي هو علة الذم، فهذا هذا.
وقال: كان ابن عباد شديد الحسد لمن أحسن القول وأجاد اللفظ، وكان الصواب غالباً عليه، وله رفق في سرد حديث، ونيقة في رواية، وله شمائل مخلوطة بالدماثة بين الإشارة والعبارة، وهذا شيء عام في البغداديين، وكالخاص في غيرهم.
حدثت ليلة بحديث فلم يملك نفسه حتى ضحك واستعاده ثم قيل لي بعده إنه كان يقول: قاتل الله ابن حيان فإنه نكد، وإنه وإنه وإنه - وأكره أن أروي ذمي بقلمي - وكان ذلك كله حسداً وغيظاً بحتاً، وأنا أروي لك الحديث فإنه في نهاية الطيب، وفيه فكاهة ظاهرة وعي عجيب، في معرض بلاغة ظريفة في ملبس فهاهة. حدثني القاضي أبو الحسن الجراحي قال: لحقني مرة علة صعبة فمن طريف ما مر على رأسي، ودخل في جملة من عادني، شيخ الشونيزية، ودوارة الحمار، والتوثة، وفقيهها أبو الجعد الأنباري، وكان من كبار أصحاب الزنهاري فقال أول ما قعد: يقع لي فيما لا يقع لغيري، أو لمثلي فيمن كان كأنه مني، أو كأنه كان على سني، أو كان معروفاً بما لا يعرف به إلاي، إلا أني أنك لا تحتمي إلا حمية فوق ما يجب، ودون ما لا يجب، وبين فوق ما لا يجب، وبين دون ما لا يجب، فرق، الله يعلم أنه لا يعلم أحد ممن يعلم، أو لا يعلم الطب كله أن يحتمي حمية، بين حميتين، حمية كلا حمية، ولا حمية كحمية، وهذا هو الاعتدال والتعديل، والتعادل والمعادلة، قال الله تعالى:)وكان بين ذلك قواما(وقال النبي صلى الله عليه وسلم:)خير الأمور أوسطها، وشرها إطرافها(، والعلة في الجملة والتفصيل إذا أدبرت لم تقبل، وإذا أقبلت لم تدبر، وأنت من إقبالها في خوف ومن إدبارها في التعجب، وما يصنع هذا كله؟ لا تنظر إلى اضطراب الحمية عليك، ولكن انظر إلى جهل هؤلاء الأطباء الألباء الذين يشقون الشعر شقاً، ويدقون البعر دقاً، ويقولون ما يدرون وما لا يدرون زرقاً وحمقاً، وإلى قلة نصحهم مع جهلهم، ولو لم يجهلوا إذا لم ينصحوا كان أحسن عند الله والملائكة، ولو

نصحوا إذا جهلوا كان أولى عند الناس وأشباه الناس والله المستعان، وأنت في عافية ولكن عدوك ينظر إليك بعين الاست فيقول: وجهه وجه من قد رجع من القبر بعد عدو على كل حال، فالرجوع من القبر خير من الرجوع إلى القبر، لعن الله القبر، لا خباز ولا بزاز ولا رزاز ولا كواز)إنا لله وإنا إليه راجعون(عن قريب إن شاء الله.)وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت(، وقال جل شأنه:)ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، ومن الجبال جدد بيض وحمر(. تأمر بشيءٍ السنة في العيادة خاصة، عيادة الكبار والسادة التخفيف والتطفيف، وإنا إن شاء الله عندك بالعشي والحق، والحق أقوام ما يجب على مثلك لمثلي، كان ليس لك مثل ولا مثلي أيضاً مثل هكذا إلى باب الشام إلى قنطرة الشوك وإلى المندفة أقول لك المستوي، لا أنا ولا أنت اليوم كمثل كمثراتين إذا علقتا على رأس شجرة، وكدلوين إذا خلقا على رأس بئر، ودع ذا القارورة، اليوم لا إله إلا الله، وأمس كان سبحان الله، وغداً يكون شيئاً آخر، وبعد غد ترى من ربك العجب، والموت والحياة بعون الله، ليس هذا مما يباع في السوق، أو يوجد مطروحاً في الطريق، وذاك أن الإنسان - ولا قوة إلا بالله - طريف أعمى كأنه ما صح له منام قط، ولا خرج من السمارية إلى الشط، وكأنه ما رأى قدرة الله في البط، إذا لفظ كيف يقول قط قط، والكلام في الإنسان وعمى قلبه وسخنة عينه قل غفر له، ولا يسلم في هذه الدار إلا من عصر نفسه عصرة ينشق منها فيموت كأنه شهيد، وهذا صعب لا يكون إلا بتوفيق الله وبعض خذلانه الغريب، على الله توكلنا وإليه التفتنا ورضينا، وبه استجرنا، إن شاء أخذ لنا، وإن شاء أطعمنا.

قال القاضي: فكدت أموت من الضحك على ضعفي وما زال كلامه بهذا إلى أن خرجت على الناس وكان مع هذا لا يعيا ولا يقف ولا يكل وكان من عجائب الزمان. وختم أبو حيان كتابه في أخلاق الوزيرين بعد أن اعتذر عن فعله ثم قال: وإني لأحسد الذي يقول:

أعد خمسين حولاً ما لأجنبيٍ ولا فضل لذي

علـى يد رحـم

ألحمد لله شكراً قد قنعت فـلا أشكو لئيماً ولا أطري أخا كرم

لأني كنت أتمنى أن أكونه، ولكن العجز غالب لأنه مبذور في الطينة، ولقد أحسن الآخر حين قال:

ضيق العذر في الضراعة إنا لو قنعنا بقسمنا لكـفـانـا

ما لنا نعبد العـبـاد إذا كـا ن إلى الله فقرنا وغنـانـا؟

وأدعو ههنا بما دعا به بعض النساك: اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسترزق أهل رزقك، ونسأل شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من دونهم ولي الإعطاء، وبيدك خزائن الأرض والسماء يا ذا الجلال والإكرام. ومن كتاب المحاضرات لأبي حيان قال: قصدت أنا والنصيبي رجلاً من أبناء لنعم والموصوفين بالكرم، ولا يرد سائليه، ولا يخيب آمليه، والألسن متفقة على جوده وتطوله، والعيون شاخصة إلى عطاياه وفضله، له في السنة مبار كثيرة على أهل العلم وأهل البيوتات، ومن قعد به الزمان وجفاه الإخوان، فلم نصادفه في منزله، وقصدناه ثانياً فمنعنا من الدخول إليه، وقصدناه ثالثاً فذكر أنه ركب، وقصدناه رابعاً فقيل هو في الحمام، وقصدناه خامساً فقيل هو نائم، وقصدناه سادساً فقيل عنده صاحب البريد وهو مشغول معه بمهم، وقصدناه سابعاً فذكر أنه رسم ألا يؤذن لأحد، وقصدناه ثامناً فذكر أنه يأكل ولا يجوز الدخول إليه بوجه ولا سبب، وقصدناه تاسعاً فذكر أن أحد أولاده سقط من الدرجة وهو مشغول به عند رأسه وما يفارقه، وقصدناه العاشر فذكر أنه مستعد لشرب الدواء، وقصدناه الحادي عشر فذكر أنه تناول الدواء من يومين، وما عمل عملاً وقد قواه اليوم بما يحرك الطبيعة، وقصدناه الثاني عشر فقيل إلى الآن كان جالساً ونهض في هذه الساعة ودخل إلى الحجرة، وقصدناه الثالث عشر فقيل دعي إلى الدار لمهم، وقصدناه الرابع عشر فألفيناه في الطريق يمضي إلى دار الإمارة، وقصدناه الخامس عشر فسهل لنا الإذن

ودخلنا في غمار الناس، والناس على طبقاتهم جلوس وجماعة قيام يرتبون الناس ويخدمونهم وقد اتفق له عزاء، وشغل بغيرنا وبقينا في صورة من احتقان البول والجوع والعطش وما أقمنا في جملة من يقام، فقال لي النصيبي: هذا اليوم الذي قد ظفرنا به وتمكنا من دخول داره صار عظيم المصيبة علينا، ليس لنا إلا مهاجرة بابه والإعراض عنه، وقمع النفس الدنية بالطمع في غيره، فقلت له: قد تعبنا وتبذلنا على بابه، والأسباب التي قد اتفقت فمنعت من رؤيته كانت عذراً واضحاً ويتفق مثل هذا، فإذا انقضت أيام التعزية قصدناه، وربما نلنا من جهته ما نأمله، فقصدناه بعد ذلك أكثر من عشرين مرة، وقلما اتفق فيها رؤيته وخطابه حتى مل النصيبي فقال: لو علمت أن داره الفردوس، والحصول عنده الخلود فيها، وكلامه رضا الله تعالى وفوز الأبد لما قصدته بعد ذلك، وأنشأ يقول:

طلب الكريم ندى يد المنكود ... كالغيث يستسقى من الجلمود
فافزع إلى عز الفراغ ولذ به ... إن السؤال يريد وجه حـديد

فأجبته أنا وعيناي بالدموع تترقرق لما بان لي من حرقتي، ونبو الدهر بي وضياع سعيي، وخيبة أملي في كل من أرتجيه لملم أو مهم، أو حادثة أو نائبة:

دنيا دنت من عاجز وتباعدت ... عن كل ذي لب له خطـر
سلمت على أربابها حتى إذا ... وصلت إلي أصابها الحصر

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين: جرى بيني وبين أبي علي مسكويه شيء، قال مرة: أما ترى إلى خطأ صاحبنا - وهو يعني ابن العميد في إعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة - لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق، فقلت بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف. أيها الشيخ، أسألك عن شيء واحد، فاصدق فإنه لا مدب للكذب بيني وبينك: لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه، أكنت تخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً، أو جاهلاً بحق المال؟ أو كنت تقول ما أحسن ما فعل وليته أربى عليه؟ فإن كان الذي تسمع على

حقيقة، فاعلم أن الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف الأخلاق، وتزيف الزائف، وتختار منها المختار، فافطن لأمرك، واطلع على سرك وشرك.

علي بن محمد بن حبيب

الماوردي البصري، يكنى أبا الحسن، ويلقب أقضى القضاة، لقب به في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وجرى من الفقهاء كأبي الطيب الطبري والصيمري إنكار لهذه التسمية وقالوا: لا يجوز أن يسمى به أحد، هذا بعد أن كتبوا خطوطهم بجواز تقليب جلال الدولة بن بهاء الدولة ابن غضد الدولة بملك الملوك الأعظم، فلم يلتفت إليهم، واستمر له هذا اللقب إلى أن مات، ثم تلقب به القضاة إلى أيامنا هذه، وشرط الملقب بهذا اللقب: أن يكون دون منزلة من تلقب بقاضي القضاة إلى أيامنا هذه على سبيل الاصطلاح، وإلا فألا ولى أن يكون أقضى القضاة أعلى منزلة. ومات الماوردي في سنة خمسين وأربعمائة. وكان عالماً بارعاً متفنناً شافعياً في الفروع، ومعتزلياً في الأصول على مال بلغني والله أعلم. وكان ذا منزلة من ملوك بني بويه يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من يناوئهم، ويرتضون بوساطته ويقفون بتقريراته. قرأت في كتاب سر السرور لمحمود النيسابوري هذين البيتين منسوبين إلى الماوردي هذا:

وفي الجهل قيل الموت موت لأهله ... فأجسادهم دون القبـور قـبـور
إن أمر لم يحى بالعـلـم صـدره ... فليس له حتى النشـور نـشـور

حدث محمد بن عبد الملك الهمداني، وحدثني أبي قال: سمعت الماوردي يقول: بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة، واختصرته في أربعين، يريد بالمبسوط كتاب الحلوى، وبالمختصر كتاب الإقناع، ودرس مكانه خمس سنين قال: ولم أر أوقر منه، ولم أسمع منه مضحكة قط، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته إلى أن فارق الدنيا. قلت: وله تصانيف حسان في كل فن، ومنها: كتاب تفسير القرآن، كتاب الأحكام السلطانية، كتاب في النحو رأيته في حجم الإيضاح أو أكبر، كتاب قوانين

الوزارة، كتاب تعجيل النصر وتسهيل الظفر.
قرأت في مجموع لبعض أهل البصرة: تقدم القادر بالله إلى أربعة من أئمة المسلمين في أيامه في المذاهب الأربعة، أن يصنف له كل واحد منهم مختصراً على مذهبه، فصنف له الماوردي الإقناع، وصنف له أبو الحسين القدوري مختصره المعروف على مذهب أبي حنيفة، وصنف له القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن نصر المالكي مختصراً آخر، ولا أدري من صنف له على مذهب أحمد، وعرضت عليه فخرج الخادم إلى أقضى القضاة الماوردي وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: حفظ الله عليك دينك، كما حفظت علينا ديننا. ومن هذا المجموع: كان أقضى القضاة - رحمه الله - قد سلك طريقه في ذوي الأرحام، يورث القريب والبعيد بالسوية، وهو مذهب بعض المتقدمين، فجاءه يوماً الشينيزي في أصحاب القماقم، فصعد إليه المسجد وصلى ركعتين والتفت إليه فقال له: أيها الشيخ، اتبع ولا تبتدع، فقال: بل أجتهد ولا أقلد، فلبس نعله وانصرف.

علي بن محمد بن الحسن بن دينار الديناري

النحوي أبو الحسن، من ولد دينار بن عبد الله. قال ابن طاهر المقدسي: مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وأبوه أبو الفتح محمد من أهل العلم والحديث.

علي بن محمدالنحوي الأديب

أبو الحسن الأهوازي النحوي الأديب رأيت له كتاباً في علل العروض، نحو عشر كراريس ضيقة الخط، جيداً في بابه غاية، ولا أعرف من حاله غير هذا.

علي بن محمد الوزان النحوي الحلبي

أبو الحسن، سمع منه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، وأظنه كان في أيام سيف الدولة بن حمدان، وله كتاب في العروض.

علي بن محمدالبطليوسي

بن السيد النحوي البطليوسي أبو الحسن، ويعرف بالخيطال، وهو أخو أبي محمد عبد الله ابن السيد النحوي. روى عن أبي بكر بن الغراب، وأبي عبد الله محمد بن يونس وغيرهما، أخذ عنه أخوه أبو محمد كثيراً من كتب الآداب وغيرها، وكان مقدماً في علم اللغة

وحفظها وضبطها، ومات بقلعة رباح معتقلاً من قبل ابن عكاشة قائدها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

علي بن محمد الأخفش النحوي

لم أجد ذكره إلا على كتاب الفصيح بخط علي بن عبد الله ابن أخي الشبيه العلوي بما صورته: حذق على هذا الكتاب - وهو كتاب الفصيح - أبو القاسم سليمان بن المبارك الخاصة الضرفي - أدام الله أيامه - من أوله إلى آخره قراءة فهم وتصحيح. وقرأت أنا على علي بن عميرة - رحمه الله - في محلة باب البصرة ببغداد عند المسجد الجامع الكبير. وقرأ هو على أبي بكر ابن مقسم النحوي عن أبي العباس ثعلب - رحمه الله -، وكتب علي بن محمد الأخفش النحوي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله

القهندزي أبو الحسن الضرير النحوي الأديب النيسابوري من أصحاب أب عبد الله، شيخ فاضل من الأدباء، سمع الحديث من أبي العباس المناسكي المحاملي وغيره، وسمع منه الناس وقرأ عليه الأئمة وتخرجوا به. قال ذلك عبد الغافر في السياق، قرأ عليه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي وعده في أعيان مشايخه. وقال الواحدي: كان من أبرع أهل زمانه.

علي بن محمد السعيدي البياري

الأستاذ الأديب أبو الحسن، رجل فاضل من أهل بيت الفضل والأدب، وأما سماع الحديث فقلما يخلو عنه أهل الفضل، قاله عبد الغافر.

علي بن محمد بن علي بن منصور

الحوزي أبو الحسن، الأديب ابن الأديب السقاء، رجل فاضل شاعر كاتب، وسمع الحديث من متأخري الطبقة الثانية ثم من مشايخنا، ومات كهلاً في الثاني من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة قال ذلك عبد الغافر.

علي بن محمد بن أرسلان بن محمد الكاتب

أبو الحسن بن أبي علي المنتجب من أهل مرو، كاتب مليح الخط فصيح العبارة، وله شعر وترسل وبلاغة في غاية الحسن، سافر إلى العراق وجال في بلاده، ولعله ما رأى مثل نفسه في فنه، سمع بمرو أبا علي إسماعيل بن أحمد ابن الحسين البيهقي وغيره. قال أبو سعد: اجتمعت معه ببغداد بالمقتدية وكتب لي شيئاً من شعره، وكان حفظة

يسمع أربعين بيتاً فيحفظها، اجتمعت فيه أسباب المنادمة والكتابة وصحبة الملوك، له هذا البيت الفرد:

وأما الحشا مني فإني امتحنـتـهـا وأدنيت منها الجمر فاحترق الجمر

وله:

إذا المرء لم تغن العفاة صـلاتـه ولم يرغم القوم العدى سطـواتـه

ولم يرض في الدنيا صديقاً ولم يكن شفيعاً له في الحشر منه نجـاتـه

فإن شاء فليهلك وإن شاء فليعـش فسيان عندي مـوتـه وحـياتـه

قتل في الوقعة الخوارزمشاهية بمرو في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وله كتاب تعلة المشتاق إلى ساكني العراق. وكان أبوه محمد بن أرسلان أيضاً من الفضلاء النبلاء. وله شعر ورسائل ومدحه الزمخشري ورثاه، وكان يلقب منتجب الملك، فلا أدري أهذا تلقب بلقب أبيه؟ أم يعرف بابن المنتجب. وذكر في تاريخ خوارزم أن منتجب الملك محمد بن أرسلان مات في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة أو قريباً منها. وذكر الزمخشري في شرح مقاماته: أنشدني الكبير المنتجب أبو علي محمد بن أرسلان لنفسه بيتاً لو وقع في شعر المتقدمين لسيرته الرواة، وخلدته الأئمة في كتبهم، وكم من أخوات له ضيعت بضياع الأدب وقلة النقلة، واتضاع الهمم، وتراجع الأمور على أعقابها.

وبرداه مسجوران مثل هجيره كأن ليس فيه بكرة وأصـيل

قال: وما أظن البردين وقعا مثل هذا الموقع منذ نطق بهما واضع العربية، ومن شعر منتجب الملك محمد بن أرسلان:

قل للمليحة في الخمار الأحمر لا تجهري بدمائنا وتستـري

مكنت من حب القلـوب ولاية فملكتها بتعسف وتـجـبـر

إن تنصفي فلك القلوب رعية أو تمثعي حق فمن ذا يجتري

سخرتني وسحرتني بنوافـث فترفقي بمسخر ومسـحـر

علي بن محمد بن علي بن أحمد بن مروان

العمراني الخوارزمي أبو الحسن الأديب، يلقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ، مات فيما يقارب سنة ستين وخمسمائة. ذكره أبو محمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم من خطه فقال: العمراني حجة الأفاضل سيد الأدباء، قدوة مشايخ الفضلاء، المحيط بأسرار الأدب، والمطلع على غوامض كلام العرب، قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري فصار أكبر أصحابه، وأوفرهم حظاً من غرائب آدابه، لا يشق غباره في حسن الحظ واللفظ، ولا يسمح عذاره في كثرة السماع والحفظ، سمع الحديث من فخر خوارزم والإمام عمر الترجماني ولد الإمام أبي الحسن علي بن أحمد المخي، والإمام الحسن بن سليمان الخجندي، والقاضي عبد الواحد الباقرجي وغيرهم، وكان

ولوعاً بالسماع كتوباً، وجعل في آخر عمره أيامه مقصورة وأوقاته موقوفة على نشر العلم وإفادته لطالبيه، وإفاضته على الراغبين فيه. فحول العلماء يرجعون إليه ويقرؤون عليه، ويفزعون في حل المشكلات وشرح المعضلات إليه، وهو مع العلم الغزير والفضل الكثير علم في الدين والصلاح المتين، وإنه في الزهادة والسداد وحسن الاعتقاد أطهر أقرانه ذيلاً من العيوب، وأنقاهم جيباً عن اقتراف الذنوب، وكان يذهب مذهب الرأي والعدل، وله شعر حسن، فمن قوله في صباه في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين يعارض قصيدة كعب ابن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـول

أضاء برق وسجف الليل مسدول	**كما يهز اليماني وهو مصقـول**
فهاج وجدي بسعدي وهي نـائية	**عني وقلبي بالأشواق متـبـول**
لم يبق لي مذ تولى الظعن باكرة	**صبر، ولم يبق لي قلب ومعقول**
مهما تذكرتها فاض الجمان على	**خدي حتى نجاد السيف مبلـول**
ما أنس لا أنس إذ تجلو عوارضها	**والجفن بالإثمد الهندي مكحـول**
ظمأى الموشح ريان مخلخلـهـا	**عيل مؤزرها والمتن مـجـدول**
كأنما هي إذ ترخـى ذوائبـهـا	**بدر عليها رواق الليل مسـدول**
كأنما ثغرها در إذا ابـتـسـمـت	**وريقها سحراً بالراح معـلـول**
يا حبذا زمن فيه نـسـر بـهـا	**والشعب ملتئم والحبل موصـول**

ومنها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

هدى إلى دين إبـراهـيم أمـتـه	**وكلهم بعقال الشرك مـعـقـول**
وكل أصحابه أهوى وأمنـحـهـم	**ودي، ومبغضهم في الدين مدخول**
وصاحب المصطفى في الغار يتبعه	**وهو الذي ماله في الله مـبـذول**
وتلوه عمر الفـاروق أزهـر، إن	**رآه إبليس ولى وهـو مـخـذول**

وأفتدي بابن عفـان الـذي فـريت أوداجه وهو بالقرآن مـشـغـول
وبالوصي ابن عم المصطفى فلـه مناقب جمة في شرحهـا طـول
وإن أقضاهم قد كان أفضـلـهـم فانظر فذا عن رسول الله منقـول
محبتي لهم دينـي ومـعـتـقـدي فإن أزغ عنهم غالتنـي الـغـول

ولهذا الإمام أشعار من هذا النمط ترك الكاغد أبيض حير من تسويده بها، وله تصانيف حسان منها: كتاب المواضع والبلدان، كتاب في تفسير القرآن، كتاب اشتقاق الأسماء.
ومن شعره الذي أورده لنفسه في كتاب البلدان:

رأيتك تدعي علـم الـعـروض كأنك لست منها في عـروض
فكم تزري بشعر مـسـتـقـيم صحيح في موازين العـروض
كأنك لم تحط مذ كنت عـلـمـاً بمخبون الضروب ولا العروض

علي بن محمد أبو الحسن السخاوي

وسخا قرية من قرى مصر، كان مبدؤه الاشتغال بالفقه على مذهب مالك بمصر، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي وسكن بمسجد بالقرافة يؤم فيه مدة طويلة، فلما وصل الشيخ أبو القاسم الشاطبي إلى تلك الديار واشتهر أمره، لازمه مدة وقرأ عليه القرآن بالروايات، وتلقن منه قصيدته المشهورة في القراءات، وكان يعلم أولاد الأمير ابن موسك، وانتقل معه إلى دمشق واشتهر بها بعلم القرآن، وعاود قراءة القرآن على تاج الدين أبي اليمن الكندي ولازمه، وقرأ عليه جملة وافرة من سماعاته في الأدب وغيره، وصار له حلقة بالجامع بدمشق، وتردد إليه الناس للتأدب وشرع في التصنيف، فله كتاب الوحيد في شرح القصيد يريد قصيدة الشاطبي، وبسط القول وطول في مجلدتين، كتاب شرح المفصل، كتاب في تفسير القرآن، وكتبت هذه الترجمة في سنة تسع عشرة وستمائة وهو بدمشق كهل يحيا.

علي بن محمد بن علي الفصيحي

أبو الحسن، من أهل أستراباذ وهي مدينة من طبرستان ورأس قصبتها، قرأ النحو على عبد القاهر الجرجاني، وأخذ عنه أبو نزار النحوي والحيص بيص الشاعر.
ومات فيما ذكره السلفي الحافظ يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة، وقدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته، ودرس النحو بالناظمية بعد الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، ثم اتهم بالتشيع فقيل له في ذلك، فقال: لا أجحد، أنا متشيع من الفرق إلى القدم فأخرج من النظامية، ورتب مكانه الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، فكان المتعلمون يقصدون داره التي انتقل إليها للقراءة عليه فقال لهم يوماً: داري بكرا، وخبزي بشرا، وقد جئتم تتدحرجون إلي، فاذهبوا إلى من عزلنا به.
وسمي بالفصيحي لكثرة دراسته كتاب الفصيح لثعلب وصار له به أنس، حتى أنه دخل يوماً على مريض يعوده، فقال شفاه، وسبق على لسانه: وأرخيت الستر، لاعتياده كثرة إعادته.
وقد روى الفصيحي عن أبي الحسن الخطيب الأقطع إنشاداً سمعه منه ابن سلفة الأصفهاني الحافظ ببغداد وقال: جالسته وسألته عن أحرف من العربية. وروى عنه في مشيخة بغداد وهو الذي عرفنا أن اسم أبيه محمد، وإلا فلا يعرف إلا بعلي بن أبي زيد الفصيحي فقط.
قرأت في كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب تصنيف الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطه: أنشدني الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أبي زيد الفصيحي وقد عاتبته على الوحدة فقال:

اللـه أحـمـد شـاكـراً	فبلاؤه حسـن جـمـيل
أصبحت مستوراً مـعـا	فى بين أنعمـه أجـول
خلواً من الأحزان خـف	ف الظهر يقنعني القليل
حراً فـلا مـن لـمـخ	لوق علي ولا سـبـيل

لم يشقني حرص على الد دنـيا ولا أمـل طـويل
سيان عندي ذو الغنى ال متلاف والرجل البخـيل
ونفيت باليأس الـمـنـى عني فطاب لي المقـيل
والناس كلـهـم لـمـن خفت مئونتـه خـلـيل

ومن كتابه أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن أبي زيد في المذاكرة وقد رقي إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه فقال مستشهداً:

إني إذا ما الخليل أحدث لـي صرماً ومل الصفاء أو قطعا
لا أحتسي ماءه علـى رنـق ولا يراني لبينـه جـزعـا
أهجره ثم ينقضي زمـن ال هجران عنا ولم أقل قذعـا
إحذر وصال اللـئيم إن لـه عضهاً إذا حبل ذكره انقطعا

وقرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب، قال الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد وقد جرى ذكر الشيخ أبي الحسن ابن أبي زيد الأستراباذي المعروف بالفصيحي صاحب عبد القاهر الجرجاني - رحمهم الله -، قال لي الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي - رحمه الله -: إنه حضر معه أعني الفصيحي حلقة يباع فيها الكتب، فنودي على كتاب فيه شيء من مصنفات أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم وراق الفراء وعليه اسم المفضل منسوباً إلى النحو، فقيل النحوي، فأخذه الفصيحي وناولنيه، يقوله أبو زكريا. وقال لي كلمستهزئ: النحوي، أي قد نسبته إلى النحو وهو عنده مقصر أي لا يستحق هذا الوصف. قال: فقلت: تكون أنت نحوياً ولا يكون المفضل منسوباً إلى النحو.
قال الشيخ أبو محمد: لا شبهة في أن الذي حمل الفصيحي على الغض بهذا القول من المفضل: أنه قد وقف على شيء من كلامه في بعض مصنفاته مما يتسمح به أهل الكوفة مما يراه أهل البصرة خطأ أو

كالخطأ، وذاك مما لا يحتمله الفصيحي ولا شيخه عبد القاهر، ولا شيخه ابن عبد الوارث أبو الحسين فيغضوا عليه، لأن طريقتهم التي يسلكونها في الصناعة منحرفة عن طريقة المفضل ومن جرى في أسلوبه كل الانحراف.

قال الشيخ أبو محمد بن الخشاب: وعلي أنني قرأت أنا بخط المفضل في كتابه الذي سماه البارع في الرد على كتاب العين في اللغة أشياء تدل على قصوره في الصناعة وضعفه في قياسها، منها: أنه ذكر الحروف التي جاءت لمعان بعد أن ذكر أبنية الكلام فقال: والحد الثالث من الكلام الأحداث، وهي التي يسميها أهل البصرة حروف المعاني، فيها ما هو على ثلاثة أحرف نحو إن وليت وكيف وأين، فعد كما ترى كيف وأين في حروف المعاني وهذا سهل عندهم، ثم قال: ومنها ما هو على أربعة أحرف نحو حاشا ولولا، ومنها ما هو على خمسة أحرف نحو ما خلا وما عدا. وجعله الحرفين مع ما واحداً، وعده لهما فيما بني من أصول الكلم على خمسة أحرف من أفحش الخطأ وأنزله، ولو وفق لذكر لكن ومثل بها، فليس في حروف المعاني ما هو على خمسة أحرف سوى لكن. ومرت بي فيما قرأته بخطه أشياء غير هذا تجري في التسمح مجراه. قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: كان أبو الحسن علي بن أبي زيد الأستراباذي المعروف بالفصيحي يوقل في الشجة التي تعرف عندهم بالمنقلة، وهي التي تنقل منها العظام إنها المنقله بكسر القاف، ويرى كونها على صيغة الفاعل لا المفعول هو الوجه، ولا يجيز غيره ويقول: الشجاج كلها إنما جاءت على صيغة الفاعل كالحارسة والدامية والدامعة والدامغة والباضعة والمتلاحمة والموضحة والمفرشة وأشباههن. قال: وكذا ينبغي أن تكون المنقلة بكسر القاف وكأنها عنده رواية عضدها قياس. قال: وكان شيخنا موهوب بن أحمد رضي الله عنه ينعى ذلك عليه ويعده تصحيفاً ويضبط اللفظة بفتح القاف على أنها صيغة مفعول ويكتب فوق القاف ما هذه صورته: فتح. ويقول: أي قياس مع الرواية هذا؟ وهي تنقل منها العظام فيتعلق أيضاً بالتفسير، ولعمري إن الأشهر

فيها الفتح وهذا ذكره أبو عبيد وابن السكيت عن الأصمعي. قال: ثم المنقلة وهي التي يخرج منها العظام، وكان شيخنا موهوب رحمه الله يرى الكسر في قاف المنقلة تصحيفاً محضاً لا وجه له، على أن أبا محمد ابن درستويه قد حكى عنه الكسر كما قال الفصيحي.

قال: وقرأت بخط العبدري وأخبرني به في كتابه قال: سمعت محمد بن العال اللغوي يقول: رويت بالوجهين معاً. وحكى العبدري الكسر عن ابن درستويه أيضاً، ولست أدري هل تعلق الفصيحي فيما ذهب إليه بقول ابن درستويه أو غيره ممن لعله حكى الكسر أم لا؟ وهل رغب شيخنا موهوب عن الكسر بعد أن علم أنه قد حكي ولم يعتد بمكانة من حكاه أم لا؟ والأشبه أنه لا يكون بلغه، فإنه قلما كان يدفع قولاً لمتقدم ولو ضعف. وأنا أقول: إن النزاع في هذه اللفظة وشبهها المرجع فيه إلى محض الرواية عنهم، والمعول في ذلك على ما يضبطه الإثبات فيها، وقد قدمت أن من المشهور فيها الفتح كما قال شيخنا موهوب، ولا حجة له في أنهم فسروها بأنها تخرج منها العظام وتنقل، فإنا لو خلينا وهذا الحجاج ووكلنا في إثبات لغة الفتح إليه لكان للخصم أن يقول: إن الشجة وهي الضربة التي أدت إلى نقل العظام فهي المنقلة لأنها حملة على المنقل، ولا حجة لشيخنا الفصيحي أيضاً مع اشتهار الفتح فيها في حمله إياها على الفاعل من نظائرها، لأنهم قالوا في الآمة: المأمومة كما قال يصف ضربة:

يحج مأمومة في قعرها لجف ... فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

على أنه يمكن أن يتأول المأمومة على معنى: يحج هامة مأمومة، وقد قالوا في المشجوج نفسه مأموم وأميم، والظاهر أنه أراد الشجة، وقد جاء في الشجاج ما ليس على صيغة فاعل ولا مفعول السمحاق، فهل هذه إلا محض رواية في التسمية؟ وإن كان منقولاً، فاعرف ما قال شيخانا - رحمهما الله - وقلناه، ومن الله عز وجل نستمد التوفيق.

ومن خط ابن المتوكل: حدثني الشيخ الإمام الفصيحي قال: رأيت بعض الموسوسين في المارستان وفي إبهامه أثر الحناء دون أصابعه فقلت له: ما معنى الحناء في الإبهام دون سائر الأصابع؟ فأنشدني:

وخاضبة إبهامهـا دون غـيره ... رأتني وقد أعيا علي تصبـري

فقلت لها: الإبهام ما اسم خضابه فقالت: يسمى عضة المتفكـر

علي بن محمد بن علي بن السكون

الحلي أبو الحسن، من حلة بني مزيد بأرض بابل، كان عارفاً بالنحو واللغة، حسن الفهم جيد النقل، حريصاً على تصحيح الكتب، لم يضغ قط في طرسه إلا ما وعاه قلبه، وفهمه لبه، وكان يجيد قول الشعر. وحكى لي عنه الفصيح ابن علي الشاعر أنه كان نصيرياً. قال لي: ومات في حدود سنة ستمائة، وله تصانيف.

علي بن محمد بن يوسف بن خروف

الأندلسي الرندي النحوي، مشهور في بلاده مذكور بالعلم والفهم، مات فيما أخبرني به الفقيه شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الغماري غيلة في سنة ست وستمائة بإشبيلية عن خمس وثمانين سنة، وكان قد تغير عقله حتى مشى في الأسواق مكشوف الرأس والعورة، وأخذ النحو عن الأستاذ أبي الحسن بن طاهر المعروف بالخدب صاحب الحواشي على كتاب سيبويه بمدينة فارس، وكان ابن خروف خياطاً إذا اكتسب منها شيئاً قسم ما يحصل له نصفين بينه وبين أستاذه، وكان في خلقه زعارة وسوء عشرة، ولم يتزوج قط، وكان يسكن الخانات.

قال: وحدثني ببدء اشتغاله أبو القاسم عبد الرحمن بن يخلف السلاوي - مدينة بالعدوة من المغرب -، قال: إنه أول يوم دخل على أبي طاهر شكا إليه الفقر وقال: إنك لتأخذ مني أكثر مما تأخذ من الأعيان. فقال: شرك أعظم من شرهم علي في المجلس، وكان يأمرني بنقل الماء إلى المسجد إذا احتاج إلى استعماله فأقول له في ذلك فيقول: لا أحب أن تجلس بغير شغل، ولم يتخذ بلداً موطناً بل كان ينتقل في البلاد في طلب التجارة، وله تصانيف منها: كتاب شرح سيبويه حمله إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار، وله كتاب شرح الجمل في جلد واحد.

علي بن معقل أبو الحسن

ذكره الحبال في كتاب الوفيات فقال: أبو الحسن بن معقل الأديب الكاتب صاحب أبي علي الفارسي ولم

يذكر اسمه، فكتبته أنا كما ترى بالوهم إلى أن يصح، قال: مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

علي بن المغيرة الأثرم أبو الحسن

كان صاحب كتب مصححة قد لقي بها العلماء وضبط ما ضمنها، ولك يكن له حفظ، لقي أبا عبيدة والأصمعي وأخذ عنهما، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وهي السنة التي مات فيها الواثق، وله من الكتب: كتاب النوادر، كتاب غريب الحديث.

وحدث أبو مسحل عبد الوهاب قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد، وأحضر الأثرم وهو يومئذ وراق وجعله في دار من دوره وأغلق عليه الباب ودفع إليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها، فكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثرم فيدفع إلينا الكتاب والورق الأبيض من عنده، ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذي نرده إليه فكنا نفعل ذلك، وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة، وكان أبو عبيدة من أضن الناس بكتبه، ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك، وكان الأثرم يقول الشعر، فمن قوله:

كبرت وجاء الشيب والضعف والبلى — وكل امرئ يبلى إذا عاش ما عشت
أقول وقد جاوزت تسعين حجة: — كأن لم أكن فيها وليداً وقد كنت
وأنكرت لما أن مضى جل قوتي — وتزداد ضعفاً قوتي كلما زدت
كأني إذا أسرعت في المشي واقف — لقرب خطى ما مسها قصراً وقت
وصرت أخاف الشيء كان يخافني — أعد من الموتى لضعفي وما مت
وأسهر من برد الفراش ولينه — وإن كنت بين القوم في مجلس نمت

علي بن منجب بن سليمان الصيرفي

أبو القاسم أحد فضلاء المصريين وبلغائهم، مسلم ذلك له غير منازع فيه، وكان أبوه صيرفياً واشتهى هو الكتابة فمهر فيها، مات في أيام الصالح بن رزيك بعد خمسين وخمسمائة وقد اشتهر ذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر والخط، فإنه كتب خطاً مليحاً وسلك فيه طريقة غريبة، واشتغل بكتابة الجيش والخراج مدة، ثم استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المصريين في ديوان المكاتبات ورفع من قدره وشهره، ثم إنه أراد أن يعزل الشيخ ابن أبي أسامة عن ديوان الإنشاء ويفرد ابن الصيرفي به، واستشار في ذلك بعض خواصه ومن يأنس به فقال له: إن قدرت أن تفدي ابن أبي أسامة من الموت يوماً واحداً بنصف مملكتك فافعل ذلك، ولا تخل الدولة منه فإنه جمالها، فأضرب عن ابن الصيرفي ومات الأفضل، وخدم المسمى بالخلافة بمصر، ولابن الصيرفي من التصانيف: كتاب الإشارة فيمن نال رتبة الوزارة، كتاب عمدة المحادثة، كتاب عقائل الفضائل، كتاب استنزال الرحمة، كتاب منائح القرائح، كتاب رد المظالم، كتاب لمح الملح، كتاب في السكر، وله غير ذلك من التصانيف، وله اختيارات كثيرة لدواوين الشعراء كديوان ابن السراج، وأبي العلاء المعري وغيرهما. ومن شعره قوله:

لما غدوت مليك — جلت مفاخره عن

الأرض أفضل من كـل إطـراء
تغايرت أدوات النطق فيك عـلـى ما يصنع الناس من نظم وإنشـاء

وله:

لا يبلغ الغاية القصوى بهـمـتـه إلا أخو الحرب والجرد السلاهيب
يطوي حشاه إذا ما الليل عانـقـه على وشيج من الحظي مخضوب

وله:

هذي مناقب قد أغـنـاه أيسـرهـا عن الذي شـرعـت آبـاؤه الأول
قد جاوزت مطلع الجوزاء وارتفعت بحيث ينحط عنها الحوت والحمـل

ولابن الصيرفي رسائل أنشأها عن ملوك مصر تزيد على أربع مجلدات.

علي بن منصور بن عبيد الله الخطيبي

المعروف بالأجل اللغوي يكنى أبا علي، الأصبهاني الأصل بغدادي المولد والمنشأ، عالم فاضل لغوي فقيه كاتب مقيم بالنظامية، قرأ على ابن القصار وأبي البركات الأنباري وغيرهما، وتفقه على مذهب الشافعي بالنظامية ولا أعلم له في زمانه نظيراً في علم اللغة، فإنه حدثني أنه كان في صباه يكتب كل يوم نصف جزء خمس قوائم من كتاب مجمل اللغة لابن فارس ويحفظه ويقرؤه على علي بن عبد الرحيم السلمي المعروف بابن القصار، حتى أنهى الكتاب حفظاً وكتابة، وحفظ إصلاح المنطق في أيسر مدة، وحفظ غير ذلك من كتب اللغة والفقه والنحو، وطالع أكثر كتب الأدب، وهو حفظة لكثير من الأشعار والأخبار، ممتع المحاضرة إلا أنه لا يتصدى للإقراء، ولقد سألته في ذلك وخضعت إليه بكل وجه فلم ينقد لذلك، ولا يكاد أحد يراه جالساً وإنما هو في جميع أوقاته قائم على رجله في النظامية، ولو جلس للإقراء لأحيا علوم الأدب، ولضربت إليه آباط الإبل في الطلب، بلغني أن مولده سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

أنشدني أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الستجاوي يعرف بابن ذنابة قال: أنشدني الأجل علي بن منصور اللغوي لنفسه:

فؤاد معنى بالعيون الفواتـر وصبوة باد مغرم بالحواضر
سميران ذادا عن جفون متيم كراها وباتا عنده شر سامر

وأنشدني قال أنشدني لنفسه:

لمن غزال بأعلى رامة سنـحـا؟ فعاود القلب سكر كان منه صحـا
مقسم بـين أضـداد فـطـرتـه جنح وغرته في الجنح ضوء ضحا

علي بن منصور بن طالب الحلبي

الملقب دوخلة يعرف بابن القارح، وهو الذي كتب إلى أبي العلاء رسالة مشهورة تعرف برسالة ابن القارح، وأجابه عنها أبو العلاء برسالة الغفران، يكنى أبا الحسن. قال ابن عبد الرحيم: هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد، راوية للأخبار وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار قئوماً بالنحو، وكان ممن خدم أبا علي الفارسي في داره وهو صبي، ثم لازمه وقرأ عليه على زعمه جميع كتبه وسماعاته، وكانت معيشته من التعليم بالشام ومصر، وكان يحكي أنه كان مؤدباً لأبي القاسم المغربي الذي وزر ببغداد، لقاه الله سيئ أفعاله كذا قال.

وله فيه هجو كثير، وكان يذمه ويعدد معايبه، وشعره يجري مجرى شعر المعلمين، قليل الحلاوة خالياً من الطلاوة، وكان آخر عهدي به بتكريت في سنة إحدى وستين وأربعمائة فإنا كنا مقيمين بها، واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه إلى الموصل، وبلغتني وفاته من بعد، وكان يذكر أن مولده بحلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. ولم يتزوج ولا أعقب، وجميع ما أورده من شعره مما أنشدنيه لنفسه، فمنه في الشمعة:

لقد أشبهتني شمعة في صبابتي … وفي طول ما ألقى وما أتوقع
نحول وحرق في فناء ووحدة … وتسهيد عين واصفرار وأدمع

ومنه في هجو المغربي:

لقبت بالكمال ستراً على … نقصك كالباني على الخص
فصرت كالكنف إذا شيدت … بيض أعلاهن بالجص
ياعرة الدنيا بلا غرة … ويا طويس الشؤم والحرص
قتلت أهليك وأنهبت بي … ت الله بالموصل تستعصي

وله في المداعبة:

أين من كان موضع الأير إجلا … لاً على الرأس عنده ويباس؟
أين من كان عارفاً بمقادي … ر الأيور الكبار مات الناس؟

وله:

يا رمحها العسال بل يا سيفها ال … قصال نارك ليس تخبو
يا عاقد المنن الرغا … ب على الرقاب لهن سحب
كفروك ما أوليتهم … والرب يشكر ما تـرب

وسئل أن يجيز قول الشاعر:

لعل الذي تخشاه … ويأتيك ما ترجوه من

يوماً به تـنـجـو حيث لا ترجو

فقال:

فثق بحكيم لا مـرد لـحـكـمـه فما لك في المقدور دخل ولا خرج

وكان بينه وبين الكسروي مهاترة ومهاجاة ومماظة، فمن قوله:

إذا الكسروي بدا مقبـلاً وفي يده ذيل دراعتـه

وقد لبس العجب مستنوكاً يتيه ويختال في مشيتـه

فلا يمنـعـنـك بـأواؤه ضراطاً يقعقع في لحيته

وله:

الصيمري دقيق الفكر في اللقم يقول كم عندكم لوناً وكم وكم؟

يسعى إلى من يرى إكثاراه وكذا نراه ذاك وما هاذاك من عـدم

يلقى الوعيد بما يلقى البشوش به وذاك والله بخل ليس بـالأمـم

قال: وحدثني قال: كنت أؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر، وكانا مختصين بالحاكم وآنسين به، فعملت قصيدة وسألت المسمى منهما جعفراً - وكان من أحسن الناس وجهاً ويقال: إن الحاكم كان يميل إليه - أن يوصلها ففعل وعرضها علي فقال: من هذا؟ فقال: مؤدبي. قال: يعطى ألف دينار. واتفق أن المعروف بابن مقشر الطبيب كان حاضراً فقال: لا تثقلوا على خزائن أمير المؤمنين، يكفيه النصف، فأعطيت خمسمائة دينار. وحدثني ابن جوهر بالحديث، وكانت القصيدة على وزن منهوكة؟ أبي نواس أقول فيها:

إن الزمان قـد نـضـر بالحاكم الملـك الأغـر

في كفه عضـب ذكـر فقد عدا على القـصـر

من غره على الـغـرر يمضي كما يمضي القدر

في سرعة الطرف نظر أو السحاب المنهـمـر
بادر إنـفـاق الـبـــدر بدر إذا لاح بــهـــــر

وهي طويلة، واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة وهي التي تسمى التراقي، ويقال لها قملة النسر، فمات منها وكان نصرانياً فقلت:

لما غدا يستخف رضـوى تيهاً وكبراً لجهـد ربـه
أصماه صرف الردى بسهم عاجله قبل وقت نحـبـه
بشقفة بـين مـنـكـبـيه رشاؤها في قليب قلـبـه

علي بن مهدي بن علي بن مهدي الكسروي

أبو الحسن الأصفهاني، معلم ولد أبي الحسن علي بن يحيى بن المنجم وأحد الرواة العلماء النحويين الشعراء، مات في أيام بدر المعتضدي على أصبهان. قال حمزة: علي بن مهدي الكسروي وهو ابن أخت علي بن عاصم بن الحريس، وكان متصلاً ببدر المعتضدي، وفي أيامه مات يعني أيامه على أصبهان، وكان قد ولى أصبهان. سنة ثلاث وثمانين ومائتين أيام المعتضد إلى أن ولي ابنه المكتفي سنة تسع وثمانين ومائتين، قال ابن أبي طاهر: وكان الكسروي أديباً ظريفاً حافظاً راوية شاعراً عالماً بكتاب العين خاصة، وكان يؤدب هارون بن علي بن يحيى النديم، واتصل بأبي النجم المعتضدي مولى المعتضد وتوفي في خلافته، وذكره المرزباني فقال: حدثني علي بن هارون عن أبيه وعمه قالا: كان أبو الحسن علي بن يحيى ابن المنجم جالساً يوماً وبحضرته من لا يخلو مجلسه منه من الشعراء كأحمد بن أبي طاهر، وأحمد بن أبي فنن وأبي علي البصير، وأبي هفان المهومي والهدادي، وهو ابن عمه أي أبي هفان، وابن العلاف، وأبي الطريف، وأحمد بن أبي كامل خال ولد أبي الحسن، وعلي بن مهدي الكسروي وكان معلم ولده، فأنشد الجماعة بيتاً ذكر أنه مر به مفرداً فاستحسنه وأحب أن يضاف إليه بيت آخر يصل معناه ويزيد في الإمتاع به وهو:

ليهنك أني لم أجد لك عائبـاً سوى حاسد والحاسدون كثير

فبدره علي بن مهدي من بين الجماعة وقال:

وإنك مثل الغيث أما وقوعه فخصب وأما ماؤه فطهور

فاستحسنه أبو الحسن وضمه إلى البيت الأول، وكان أبو العبيس بن حمدون حاضراً فقال له: الصنعة فيهما عليك، فطلب عوداً وانفرد فصنع فيه رمله المشهور. وحدث عن الصولي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الأصبهاني:

وما نازح يالصين أدنـى مـحـلـه يقصر عنـه كـل مـاش وطـائر
محا اليأس منه كل ذكر فلم تـكـد تصوره للقلب أيدي الـخـواطـر
بأبعد عندي مـن أنـاس وإن دنـوا وما البعد إلا مثل طول التهـاجـر

ويشغل عني القصف والراح بعضهم مباكرها أو ممسياً كمباكر
إذا طار بين العود والناي طيرة فليس لإخوان الصفا بذاكر

قال: فأجابه علي بن مهدي:

أيا سيدي عفواً وحسن إقالة فلم يحو أقطار العلا مثل غافر
لعمري لو أن الصين أدنى محلتي لما كنت إلا غائباً مثل حاضر
ثنائي لكم عمري ومحض مودتي تؤثر آثار الغيوث البواكر
فوالله ما استبهجت بعدك مجلساً ولا بقيت لذاته في ضمائري
ولست كمن ينسيه أهل صفائه سماع الحسان واصطحاب المزاهر
وكيف تناسى سيد لي ثناؤه منوط بأحشائي وسمعي وناظري

وحدث عن عبد الله بن يحيى العسكري عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الكسروي:

يا باخلاً بكتابه ورسوله أأردت تجعل في الفراق فراقاً؟
إن العهود تموت إن لم تحيها والنأي يحدث للفتى إخلاقاً

قال: فكتب إليه علي بن مهدي:

لا والذي أنت أسنى من أمجده عندي وأوفاهم عهداً وميثاقاً
ما حلت عن خير ما قد كنت تعهده ولا تبدلت بعد النأي أخلاقاً

وحدث عن علي عن عبد الله بن المعتز قال: كتب إلى علي بن مهدي الكسروي في يوم مهرجان:

نعمت بما تهوى ونلت الذي ترضى ولقيت ما ترضى ووقيت ما تخشى
ولست بما ألقى من الخير كله أسر، وأحظى سيدي بالذي تلقى
ويعلم علام أعدك ذخراً للممات

الـخـفـيات أنـنـي وللـمـحـيا
وأني لو أهدي على قـدر نـيتـي لكان الذي أهديه حظي من الدنـيا

وحدث عن العسكري عن ابن سعيد الدمشقي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي:

أبا حسن أنت ابن مهدي فارس فرفقاً بنا لست ابن مهدي هاشم
وأنت أخ في يوم لهـو ولـذة ولست أخاً عند الأمور الأعاظم

فأجابه علي:

أيا سيدي إن ابن نهـدي فـارس فداء ومن يهوى لمهدي هـاشـم
بلوت أخاً في كل أمر تـحـبـه ولم تبله عند الأمور الأعـاظـم
وإنك لو نـبـهـتـه لـمـلـمة لأنساك صولات الأسود الضراغم

قال: وقال محمد بن داود: ان علي بن مهدي يؤدب وهو أحد الرواة للأخبار وهو القائل:

ولما أبى أن يستقيم وصـلـتـه على حالتيه مكرهاً غير طائع
حذاراً علـيه أن يمـيل بـوده فأبلى بقلب. لست عنه بنـازع
فأصبح كالظمآن يهريق مـاءه لضوء سراب في المهامه لامع
فلا الماء أبقى للحياة ولا أتـى على منهل يجدي عليه بنافـع

وله:

ومودع يوم الفراق بلحظـه شرق من العبرات ما يتكلم
متقلب نحو الحبيب بطرفـه لا يستطيع إشارة فيسـلـم
نطق الضمير بما أرادا عنهما وكلاهما مما يعاين مفحـم

وقال علي بن مهدي يصف العود:

تجري أصابعها عـلـى ذي منطق أعمى بصير
خرس أصم ونحن نجواه في دهر

مـن فدم صمـوت لـيس يع	قصـير رف ما القبيل من الدبير
ميت ولـكـن الأكـف	ف تذيقه طعم النشـور
وكأنه في حـجـرهـا	طفل تمهد حجر ظـير
يومي إليه بـنـانـهـا	فتريك ترجمة الضمير
فيرى النفوس معلـقـا	ت منه فـي بـم وزير
فإذا لــوت آذانـــه	جاز الأنين إلى الزفـير
قالت له: قل مطـربـاً	وعظتك واعظة القتـير
فأجابها من حـجـرهـا	وعلتك أبهة الـكـبـير

وله من الكتب: كتاب الخصال وهو مجموع يشتمل على أخبار وحكم وأمثال وأشعار، كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغي أن يقتدي القضاة في مطامعهم بالأئمة الخلفاء، وقد عزي هذا الكتاب إلى الكسروي الكاتب، كتاب الأعياد والنوازير، كتاب مراسلات الإخوان ومحاورات الخلان وقال الكسروي في ضرطة وهب بن سليمان:

إن وهب بن سلـيمـا	ن بن وهب بن سعيد
حمل الضرط إلى الر	رى على ظهر البريد
في مهمـات أمـور	منه بالركض الشديد
إسته ينطق يوم الحف	ل بالأمر الـرشـيد
لم يجد في القول فاحتا	ج إلى دبر مـجـيد

ومن كتاب أصبهان: قال هارون بن علي بن يحيى: اجتمعنا مع أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر عند علي بن مهدي، فلما أردنا الانصراف أنشأ أبو الفضل يقول:

لولا علي بن مهدي وخلـتـه	لما اهتدينا إلى ظرف ولا أدب
إذا سقي مترع الكاسات أوهمنا	بأن غلماننا خير من العـرب

علي بن نصر النصراني يعرف بابن الطبيب

أبو الحسن الكاتب، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان أديباً مصنفاً مات في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة،

وله عدة كتب قال: وكان يذاكرني بها وأحسبه لم يتمم أكثرها، فمن كتبه: كتاب البراعة، كتاب صحبة السلطان أكثر من ألف ورقة، كتاب إصلاح الأخلاق محو من ألف وخمسمائة ورقة يشتمل على حكم وأمثال.

علي بن نصر بن سليمان الزنبقي اللغوي

أبو الحسن أحد الأدباء، رأيت بخطه كتباً أدبية لغوية ونحوية فوجدته حسن الخط متقن الضبط، وكان مقامه بمصر ولعله من أهلها، قرئ عليه كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري بجامع مصر في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

علي بن نصر بن سعد بن محمد الكاتب

أبو تراب، ولد بعكبرا ونشأ بها، ثم انحدر بعد أن بلغ إلى بغداد، وقرأ الأدب والنحو على ابن برهان النحوي، ثم انحدر إلى البصرة وصار كاتباً لنقيب الطالبيين بها، وأقام بالكرخ وولى الكتابة لنقيب الطالبيين إلى أن مات، وكان من أهل الأدب والفضل، مولده في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وخمسمائة، وابنه علي بن نصر بن سعد أبو الحسن بن أبي تراب، وكان كاتب نقيب الطالبيين أيضاً وكان شاعراً، ولد بالبصرة سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، ومن شعر أبي تراب هذا:

حالي بحمد الله حال جيده ... لكنه من كل خير عاطل
ما قلت للأيام قول معاتب ... والرزق يدفع راحتي ويماطل
إلا وقالت لي مقالة واعظ: ... ألرزق مقسوم وحرصك باطل

علي بن نصر الفندورجي

بن محمد بن عبد الصمد الفندورجي أبو الحسن الأسفرائيني، وفندورج قرية بنواحي نيسابور، سكن إسفرائين وكان يرجع إلى فضل وافر ومعرفة تامة باللغة والأدب وخط وبلاغة، وله شعر مليح رائق ويد باسطة في الكتابة والرسائل، ورد بغداد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وأقام بها مدة واقتبس من فضلائها، ورجع إلى خراسان وصار ينشئ الكتب عن ديوان الوزارة، وسئل عن مولده فقال: ولدت سنة تسع وثمانين وأربعمائة بنيسابور.

قال السمعاني ومات في حدود سنة خمسين وخمسمائة ومن شعره:

تحية مزن يتحف الروض سحرة ... بصوب الحيا في كل يوم عليكم
فجسمي معي لكن قلبي أكرموا ... بلطفكم مثواه فهو لديكم

قال السمعاني: أنشدني الفندورجي لنفسه:

سقى الله في أرض اسفرائين عصبتي ... فما تنتهي العلياء إلا إليهم
وجربت كل الناس بعد ... فما زدت إلا فرط ضن

فـراقـهـم عـلـيهـم

قال السمعاني: وأنشدني لنفسه ببلخ إملاء ونقلته من خطه:

قد قص أجنحة الوفاء وطار من وكر الوداد المحض والإخلاص
والحر في شبك الجفاء ومـالـه من أسر حادثة رجاء خـلاص

كان في آخر جزء بخط السمعاني ما صورته لكاتبه أبي الحسن الفندورجي:

م الحـــبـــيب وآذاه الـــســـقـــام ولـــم أمـت كـمـا شـاء سـلـطـان الـهـوى حـــزنـــا
أي عـين إذا مـا الـوصـل يجــمــعــنـــا بـالـطـالـع الـسـعـد ألـقـى وجـهـه الـحـســن؟
لجفن مني دام لا يصافح إذمس الأذى منه تلك الروح والبدنا

وله أيضاً في المعنى نقلته من خطه:

حم الحبيب وما حم انفصالي عن روح وعن بدن يحيا بـذكـراه
بأي وجه إذا ما الوصل يجمعنا ومقلة أتـلـقـاه وألـقـاه؟

وقرأت بخط أبي سعد، سمعت علب بن نصر النيسابوري مذاكرة بمرو يقول: كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التي لأبي إسماعيل المنشئ:

ذكرتكم عند الزلال على الظما فلم أنتفع من برده بـبـلال

فأنشأت قصيدة في نقيب النقباء أبي القاسم علي بن طراد الزينبي على هذا الروي أولها:

خليلي زمت للرحـيل جـمـالـي فقد ضاق في أرض العراق مجالي

وقوداً عتاقاً كالأهـلـة، إنـمـا ديار الندى والمكرمات حوالي
وما أوجبت بغداد حقي وغادرت بلابل بعد الظاعنين بـبـالـي

علي بن وصيف الملقب بخشكنانجة الكاتب

من أهل بغداد، وكان أكثر مقامه بالرقة ثم انتقل إلى الموصل وكان من البلغاء، وألف عدة كتب ونحلها عبدان صاحب الإسماعيلية، قال محمد بن إسحق النديم: وكان لي صديقاً وأنيساً ومات بالموصل، وله من الكتب: كتاب الإفصاح والتثقيف في الخراج ورسومه.

علي بن هبة الله بن ماكولا

هو علي بن هبة الله بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمرو بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن دلف بن جشم ابن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هبت بن أفصى بن دغمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، أبو نصر المعروف بابن ماكولا، وهو ابن الوزير أبي القاسم هبة الله ابن ماكولا وزير جلال الدولة بن بويه، وكان عمه أبو عبد الله الحسن بن جعفر، قاضي القضاة ببغداد الحافظ - أصله من جرباذقان بلدة بين همدان وأصفهان - يلقب بالأمير من بيت الوزارة والقضاة والرياسة القديمة، كان لبيباً عارفاً عالماً، ترشح للحفظ حتى كان يقال له الخطيب الثاني. قال ابن الجوزي: سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح في دينه ويقول: العلم يحتاج إلى دين. صنف كتاب المختلف والمؤتلف، جمع فيه بين كتب الدارقطني وعبد الغني والخطيب، وزاد عليهم زيادات كثيرة، وكان نحوياً مجوداً، وشاعراً مبرزاً، جزل الشعر فصيح الكلام صحيح النقل، ما كان في البغداديين في زمانه مثله، سمع أبا طالب بن غيلان، وأبا بكر بن بشران، وأبا القاسم بن شاهين، وأبا الطيب الطبري، وسافر إلى الشام والسواحل وديار مصر، والجزيرة والثغور الجبال، ودخل بلاد خراسان وما وراء النهر، وطاف في الدنيا وجول في الآفاق.

قال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال المصري يمدح ابن ماكولا ويثني عليه ويقول: دخل مصر في زي الكتبة فلم نرفع له رأساً، فلما عرفناه كان من العلماء بهذا الشأن، ورجع إلى بغداد فأقام بها، ثم خرج إلى خوزستان فقتل هناك. كان في صحبته جماعة من مماليكه الأتراك.

قال ابن ناصر: قتل أبو نصر بن ماكولا بالأهواز من نواجي خوزستان، إما في سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ومولده بعكبرا في شعبان من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، ومن مستحسن شعره في التجنيس:

ولما تفرقنا تبـاكـت قـلـوبـنـا فممسك دمع عند ذاك كساكـبـه
فيا نفسي الحرى البسي ثوب حسرة فراق الذي تهوينه قد كسـاك بـه

ومنه:

ترى زمني يدني سليمي فنلتقي؟ ونرجع بالشكوى الحديث المناهبا
وهيهات ما بعد الذي قد طلبتـه ومن غاير الأيام كان المناهـبـا

ومنه:

فؤاد ما يفيق من التصـابـي أطاع غرامه وعصى النواهي
وقالوا: لو تصبر كان يسـلـو وهل صبر يساعد والنواهي؟

ومنه:

أليس وقوفـنـا بـديار هـنـد وقد رحل القطين من الدواهي؟
وهند قد غدت داء لـقـلـبـي إذا صدت ولكـن الـدوا هـي

ومنه:

وهيج أشواقي وما كنت سالياً بيبرين برق من ذرى الغور أومضا
ذكرت به عيش التصابي وطيبه ولست بتناسيه وإن عاد أو مضى

ومن شعره:

علمتني بهجرها الصبر عنها فهي مشكورة على التقبيح
وأرادت بذاك قبح صنيع فعلته فكان عين المليح

أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي قال: أنشدنا عمر بن طبرزاد قال: أنشدني أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام قال: أنشدنا الأمير أبو نصر علي بن هبة الله لنفسه:

قوض خيامك عن أرض تهان بها وجانب الذل إن الذل مجتنب
وارحل إذا كانت الأوطان منقصة فالمندل الرطب في أوطانه الحطب

قرأت بخط أبي سعيد: أنبأنا أبو نصر يحيى بن خلف الخلقاني: أنبأنا أبو ثابت بنحير بن علي: أنبأنا أبو نصر ابن ماكولا الحافظ، أنشدنا أبو الفرج هبة الله بن الحسن بن محمد العسقلاني بها: أنشدنا أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي الناس العسقلاني في صورتين كانتا على كنيسة تعرف بكنيسة ابن مريم على شرقي محملها، والكنيسة عند باب الصوارف بعسقلان:

لو ذقتما طعم العناق لغافصت شخصيكما الدنيا بوشك فراق
لم تغفل الأيام حالكما بها عمداً لترفيه ولا إشفاق
بل للأمور نهاية علقت بها حجزت أوامرها عن الطراق
فإذا انقضت أيامها عادت لها تلك الوقاحة أضيق الأطواق
وكأنني بالدهر قد أجراكما كبنيه تفريقاً بغير تلاقي

قال: فما مضى لهذا الشعر إلا سنة أو نحوها حتى أمر الحاكم بهدم الكنائس فهدمت، وهدمت هذه الكنيسة وأزيل الشخصان، فأنشدني لنفسه أبياتاً في ذلك يرثيهما بها:

طوبا كما من دميتين تعانـقـا وتفرقا من بعد طول عنـاق
طال اعتناقهما فما نعمـا بـه وكذاك ما ألما لوشك فـراق
أجرتهما الدنيا بها إذ مثـلـت بمثابة الأولاد في الإشـفـاق
صانتهما عن كل طارق حادث عند الغروب ومبتدا الإشراق
حتى إذا بلغا نهـاية مـوعـد فلت عناقهما عن الأعـنـاق
ومحت رسومهما كأن لم تمثلا للناظرين مرامـي الأحـداق
حسبي من الأيام معرفتي بهـا وتصرف الحدثان في الآفاق

قال شجاع بن فارس الذهلي: أنشدني الأمير أبو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا الحافظ لنفسه:

طالما ظالماً تجنى بحـبـي عاذ عاد عن فنه عن فـيه
قال قال فاترك فأبرك هجر هجر حب خب نبيه بتـيه
صاد صاداً علا علا مأحلا ما خلا من بلية من يلـيه

قال: وأنشدني الأمير لنفسه في الشمعة:

أقول وما لي مسعد غير شمعة على طول ليلي ما تريد نزوعا
كلانا نحيل ذو اصفرار معذب بنار أسالت من حشاه نجيعـا
ألا ساعديني طول ليلك إنـنـا سنفنى إذا جاء الصباح جميعا

قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: ما راجعت أبا بكر الخطيب في شيء إلا وأحالني على الكتاب وقال حتى أبصره، وما راجعت الأمير أبا نصر علي بن هبة الله بن ماكولا في شيء إلا وأجابني حفظاً كأنه يقرأ من كتاب.

قال: وبلغ أبا بكر الخطيب أن ابن ماكولا أخذ عليه في كتابه المؤتنف وصنف في ذلك تصنيفاً وحضر عنده ابن

ماكولا وسأله الخطيب عن ذلك فأنكره ولم يتربه وقال: تنسبني الناس إلى ما لا أحسنه من الصنعة، واجتهد الشيخ أبو بكر أن يعترف بذلك، وحكى له ما كان من عبد الغني بن سعيد في تتبعه أوهام الحاكم أبي عبد الله في كتاب المدخل، وحكايات عدة من هذا المعنى. قال: أرني إياه، فإن يكن صوابا استفدته منك ولا أذكره إلا عنك، فأصر على الإنكار وقال: لم يخطر هذا ببالي قط ولم أبلغ هذه الدرجة، أو كما قال.فلما مات الخطيب أظهر كتابه، وهو الذي سماه كتاب تهذيب مستقر الأوهام على ذوي التمني والأحلام، أبو الحسن الدارقطني، وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب، وهو في عشرة أجزاء لطاف، وله من التصانيف سوى ما ذكرناه: كتاب الوزراء، كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف.

علي بن هارون بن نصر القرميسيني

النحوي أبو الحسن. أخذ عن علي بن سليمان الأخفش، وأخذا عنه عبد السلام البصري، ومات في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة في خلافة الطائع، ومولده في سنة تسعين ومائتين.

علي بن هارون بن علي

بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الحسن. قد ذكرنا أباه هارون وأجداده في مواضعهم من الكتاب. قال محمد بن إسحاق النديم: رأيناه وسمعنا منه، وكان راوية شاعراً أديباً ظريفاً متكلماً حبراً، نادم جماعة من الخلفاء وقال لي: مولدي سنة سبع وسبعين ومائتين. وقال ثابت: مولده في صفر سنة ست وسبعين، ومات سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة عن ست وسبعين سنة، وله من الكتب: كتاب النوروز والمهرجان، كتاب الرد على الخليل في العروض، كتاب الرسالة في الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق بن الموصلي في الغناء، كتاب ابتدأ فيه بنسب أهله عمله للمهلبي الوزير ولم يتم، كتاب اللفظ المحيط ببعض ما لفظ به اللقيط عارض به كتاب أبي الفرج الأصبهاني، كتاب الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار، كتاب القوافي عمله لعضد الدولة.

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن عباد في كتاب الروزنامجة في مجلسه، وقد أعدوا قصيدتين في

مدحه فمنعهما من النشيد لأحضره، فأنشدوا وجوداً بعد تشبيب كبير وحديث طويل.قال المؤتلف: أراه المهلبي، كان لأبي الحسن رسم - أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته، وعتابه إن طويته، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد أحب إلي من أن أحصل عنده في رتبة مقصر - يبتدئ فيقول ببحة عجيبة بعد إرسال دموعه، وتردد الزفرات في حلقه واستدعائه من خود غلامه، منديل عبراته، والله والله وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها وطلاقها وعتاقها، وما ينقلب إليه حرام، وعبيده أحرار لوجه الله تعالى إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله، أو اتفق من عهد أبي داوود الإيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله، بل عيبه أن محاسنه تتابعت، وبدائعه ترادفت.
وقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يحمله، ويسود به شاعره ثم ينشد، فإذا بلغ بيتاً يعجب به ويتعجب منه. وقال أيها الوزير: من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هارون ابن علي بن يحيى بن أبي منصور بن المنجم جليس الخلفاء، وأنيس الوزراء؟ ثم ينشد الابن والأب يعوذه ويهتز له، ويقول أبو عبد الله: أستودعه الله ولي عهدي، وخليفتي بعدي، ولو اشتجر اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواه، أمتعنا الله به ورعاه، وحديثه عجيب. وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق، و وفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها، وأزل عن جملتها، إنه مع كثرة عياله واختلال أحواله، وطلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه فامتنع من بيعها وأعتقها وتزوجها، ومن شعر علي بن هارون وكتب بها إلى أبي الحسن علي بن خلف بن طياب:

بيني وبين الدهر فيك عتـاب	**سيطول إن لم يمحه الإعتاب**
يا غائباً بوصالـه وكـتـابـه	**هل يرتجى من غيبتـيك إياب**
لولا التعلل بالرجاء تقطعـت	**نفس عليك شعارها الأوصاب**

لا يأس من روح الإله فربمـا يصل القطوع ويحضر الغياب
وإذا دنوت مواصلاً فهو المنى سعد المحب وساعد الأحبـاب
وإذا نأيت فليس لي متعـلـل إلا رسول بالرضا وكـتـاب

وحدث أبو علي المحسن بن علي التنوخي القاضي في نشوار المحاضرة قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن المنجم قال: حدثني أبي قال: كنت وأنا صبي لا أقيم الراء في كلامي وأجعلها غيناً وكانت سني إذ ذاك أربع سنين، أقل أو أكبر، فدخل أبو طالب الفضل ابن سلمة، أو أبو بكر الدمشقي - شك أبو الفتح - إلى أبي وأنا بحضرته، فتكلمت بشيء فيه راء فلثغت فيها، فقال له الرجل: يا سيدي، لم تدع أبا الحسن يتكلم هكذا؟ فقال له: ما أصنع وهو ألثغ؟ فقال له: - وأنا أسمع وأحصل ما جرى وأضبطه - إن اللثغة لا تصح مع سلامة الجارحة، وإنما هي عادة سوء تسبق إلى الصبي أول ما يتكلم لجهله بتحقيق الألفاظ وسماعه شيئاً يحتذيه، فإن ترك على ما يستصحبه من ذلك مرن عليه، فصار له طبعاً لا يمكنه التحول عنه، وإن أخذ بتركه في أول نشوه استقام لسانه وزال عنه، وأنا أزيل هذا عن أبي الحسن ولا أرضى فيه بتركك له عليه، ثم قال لي: أخرج لسانك، فأخرجته فتأمله وقال: الجارحة صحيحة، قل يا بني را، واجعل لسانك في سقف حلقك، ففعلت ذلك فلم تستو لي، فما زال يرفق بي مرة ويخشى بي أخرى، وينقل لساني من موضع إلى موضع من فمي، ويأمرني أن أقول الراء فيه، فإن لم يستو لي نقل لساني إلى موضع آخر دفعات كثيرة في زمان طويل حتى قلت راء صحيحة في بعض تلك المواضع، وطالبني وأوصى معلمي بإلزامي ذلك حتى مرن لساني عليه، وذهبت عني اللثغة.

ومن كتاب الروزنامجة قال الصاحب: وتوفرت على عشرة فضلاء البلد، فأول من كارثني أولاد المنجم لفضل أبي احسن علي بن هارون وغزارته، واستكثاري من روايته وطيب سماعه ولذيذ عشرته.

فسمعت منه أخباراً عجيبة وحكايات غريبة، ومن ستارته أصواتاً نادرة مشنفة مقرطقة يقول في كل منها:الشعر لفلان، والصنعة لفلان، أخذته هذه عن فلان، أو فلانة، حتى يتصل النسب بإسحاق أو غيره من أبناء جنسه، وكان أكثر ما يعجب به مولاها أبيات له أولها:

ضل الفراق ولا اهتدى ... ونأت فلا دنت النوى
وهوى فلا وجد القـرا ... ر معنف أهل الهوى

فاتفق أن سألت أول ما سمعت اللحن فيه عن قائله، فغضب واستشاط، وتنكر واستوفز، ونفر وتنمر وقال: تقول لمن هذا؟ أما يدل على قائله؟ أما يعرب عن جوهره؟ أما ترى أثر بني المنجم على صفحته؟ أما يحميه لألاؤه أو لوذعيته من أن يدال بمن؟ وممن هذا الرجل؟ وذكره المرزباني في المعجم فقال المنجم: وهو القائل:

وإني لأثني النفس عما يريبـهـا ... وأنزل من دار الهوان بمعـزل
بهمة نبـل لا يرام مـكـانـهـا ... تحل من العلياء أشرف منـزل
ولي منطق إن لجلج القول صائب ... بتكشيف إلباس وتطبيق مفصـل

وله يمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

وهل خصلة من سؤدد لم يكن لها ... أبو حسن من بينهم ناهضاً قدما؟
فما فاتهم منها به سلـمـوا لـه ... وما شاركوه كان أوفرهم قسماً

وفي كتاب أبي علي التنوخي: كان أبو أحمد الفضل ابن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب خصيصاً بالوزير أبي علي بن مقلة وكان يعشق مغنية، وكان ينفق عليها جميع ما يتحصل له، وله معها أخبار، وكانت هذه الجارية صفراء واسمها لهجة فشرب معها ليلة وأصبح مخموراً فآثر الجلوس معها، وأراد الاعتذار إلى الوزير ابن مقلة من التأخر عن الخدمة وأن يخفي خبره عنه. فكتب رقعة يعتذر فيها ويقول: إن الصفراء تحركت علي فتأخرت، فوقع على ظهر الرقعة بخطه: أنت تحركت على الصفراء، وليست الصفراء تحركت عليك. قال: وهذا التوقيع يشبه ما أنشدنا علي بن هارون المنجم لنفسه في جاريته صفراء، وقد شكا إلى الطبيب مرة صفراء، ولا أدري أيهما أخذه من صاحبه:

جس الطبيب يدي وقال مخبراً ... هذا الفتى أودت به الصفـراء
فعجبت منه إذ أصاب وما درى ... قولاً وظاهر ما أراد خطـاء

قلت أنا: وقريب من هذا قول الوزير المهلبي:

وقالوا للطبيب أشر ... نعدك للعظيم من

فـإنـا الأمـور
فقال شفاؤه الرمان مـمـا تضمنه حشاه من السعـير
فقلت: لهم أصاب بغير قصد ولكن ذاك رمان الصـدور

وكان لعلي بن هارون ولد يقال له أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم، كان أديباً فاضلاً إلا أني لم أقف له على تصنيف فلم أفرده بترجمة والمقصود ذكره. وقد ذكر ها هنا، وروى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر وقال: أنشدني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون لنفسه:

ما أنس منها لا أنس موقفها وقلبها للفراق ينـصـدع
وقولها إذ بدا الصباح لهـا قول فزوع أظله الجـزع
ما أطول الليل عند فرقتنـا وأقصر الليل حين نجتمع!!

قال التنوخي: وأنشدني أبو الفتح لنفسه وكتب بها إلى أبي الفرج محمد بن العباس - فسانجس - في وزارته وقد حمل على الأعداء في الأهواز:

قل للوزير سليل المجد والكرم ومن له قامت الدنيا على قدم

علي بن هلال الكاتب

المعروف بابن البواب أبو الحسن، صاحب الخط المليح والإذهاب الفائق. وجدت بخط ابن الشبيه العلوي الكاتب صاحب الخط الفائق في آخر ديوان أبي الطمحان القيني بخطه ما صورته: وكتب في صفر سنة عشرين وأربعمائة من خط أبي الحسن علي بن هلال الستري مولى معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، وهذا قد كان بغير شك معاصره. بلغني أنه كان في أول أمره مزوقاً بصور الدور ثم صور الكتب ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين، وكان يعظ بجامع المنصور، ولما ورد فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف الوزير والياً على العراق من قبل بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة جعله من ندمائه، وفي الجملة إنه لم يكن في عصره ذاك النفاق الذي له بعد وفاته، وذاك أنني وجدت رقعة

بخطه قد كتبها إلى بعض الأعيان يسأله فيها مساعدة صاحبه ابن منصور، وإنجاز وعد وعده به لا يساوي دينارين، وقد بسط القول في ذلك استطلتها فإنها كانت نحو السبعين سطراً فألغيت إثباتها، وقد بيعت بسبعة عشر ديناراً إمامية، وبلغني أنها مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً. مات فيما ذكره هلال بن المحسن بن الصابئ في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ودفن في جوار قبر أحمد بن حنبل وذلك في خلافة القادر بالله، ورثاه المرتضى بشعر أذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى. وحدث في كتاب المفاوضة قال: حدثني أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال: كنت أتصرف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له وأمرها مردود إلي، فرأيت يوماً في جملة أجزاء منبوذة جزءاً مجلداً بأسود قدر السكري ففتحته وإذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن بخط أبي علي بن مقلة، فأعجبني وأفردته فلم أزل أظفر بجزء بعد جزء مختلط في جملة الكتب إلى أن اجتمع تسعة وعشرون جزءاً، وبقي جزء واحد استغرقت تفتيش الخزانة عليه مدة طويلة فلم أظفر به، فعلمت أن المصحف ناقص فأفردته ودخلت إلى بهاء الدولة وقلت: يا مولانا، ههنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها، وهي مخاطبة أبي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له، ومعه هدية ظريفة تصلح لمولانا. قال: أي شئ هي؟ قلت مصحف بخط أبي علي بن مقلة. فقال: هاته وأنا أتقدم بما يريد، فأحضرت الأجزاء فأخذ منها واحداً وقال: أذكر وكان في الخزانة ما يشبه هذا وقد ذهب عني، قلت: هذا مصحفك وقصصت عليه القصة في طلبتي له حتى جمعته إلا أنه ينقص جزءاً وقلت: هكذا يطرح مصحف بخط أبي علي؟ فقال: لي: فتممه لي. قلت: السمع والطاعة، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعة ومائة دينار. قال: أفعل. وأخذت المصحف من بين يديه وانصرفت إلى داري، ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف، وكان فيها من أنواع

الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كل ظريف عجيب، فأخذت من الكاغد ما وافقني، وكتبت الجزء وذهبته وعتقت ذهبه، وقلعت جلداً من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعت منه الجلد وعتقته، ونسي بهاء الدولة المصحف، ومضى على ذلك نحو السنة. فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي بن مقلة فقال لي: ما كتبت ذلك؟ قلت: بلى، قال: فأعطنيه: فأحضرت المصحف كاملاً فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً وهو لا يقف على الجزء الذي بخطي ثم قال لي: أيما هو الجزء الذي بخطك؟ قلت له: لا تعرفه فيصغر في عينك، هذا مصحف كامل بخط أبي علي بن مقلة ونكتم سرنا؟ قال: أفعل: وتركه في ربعة عند رأسه ولم يعده إلى الخزانة، وأقمت مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يمطلني ويعدني، فلما كان يوماً قلت يا مولانا: في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير. قال مر وخذه فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين.

كان مزاحاً - وله في هذا الكتاب باب - وعلى بن هلال ووجدت في تاريخ أبي لبفرج بن الجوزي قال: اجتاز أبو الحسن البتي الكاتب و كان مزاحاً - وله في هذا الكتاب باب - وعي ابن هلال جالس على باب الوزير فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف ينتظر الإذن. فقال له البتي: جلوس الأستاذ على العتب رعاية للنسب. فغضب ابن البواب وقال: لو أن إلي أمراً ما مكنتك من دخول هذه الدار. فقال البتي: لا يترك الأستاذ صنعة الوالد بحال. ولبعضهم يهجو ابن البواب:

ماذا رأيتم من النساخ مـتـخـذاً — سبال لص على عثنون محتـال؟
هذا وأنت ابـن بـواب وذو عـدم — فكيف لو كنت رب الدار والمال؟

وكان ابن البواب يقول شعراً ليناً. - ونقلته من خط الجويني أيضاَ قال: ونقلت من خطه أيضاً في ضمن رسالة - منه:

ولو أني أهديت ما هو فـرض — للرئيس الأجل من أمثـالـي
لنظمت النجوم — صع غيري جواهراً

عقـداً إذا رص	بـلآلـي
ثم أهـديتـهـا إلـيه وأقـرر	ت بعجزي في القول والأفعال
غير أني رأيت قدرك يعـلـو	عن نظير ومشبـه ومـثـال
فتفاءلت في الـهـدية بـالأق	لام علماً مني بصدق الـفـال
فاعتقدها مفاتح الشرق والغـر	ب صريعاً والسهل والأجبـال
فهي تستن إن جرين على القر	طاس بين الأرزاق والآجـال
فاختبرها موقعاً بـرسـوم ال	بر والمكرمات والإفـضـال
واحظ بالمهرجان وابل جديد الد	هر في نعمة بـغـير زوال
وابق للمجد صاعد الجد عـزاً	والرئيس الأجل نجم المعالـي
في سرور وغبـطة تـدع ال	حاسد منها مقطع الأوصـال
عضدتها السعود واستوطن الإق	بال فيها وسالمتها الـلـيالـي
أيها الماجد الكـريم الـذي يب	دأ بالعارفات قبـل الـسـؤال
إن آلاءك الجـزيلة عـنـدي	شرعت لي طريقة في المقال
أمنتني لديك من هجـنة الـر	رد وفرط الإضجار والإملال
وحقوق العبيد فرض على الس	سادة في كل موسم للمعالـي
وحياة الثناء تبقى علـى الـده	ر إذا ما انقضت حياة المـال

وكان تحت هذا الشعر بخط الجويني ما صورته: هذا شعر ابن البواب، وهو عورة سترها ذلك الخط، ولولا أن الإجماع واقع في أن الرجل يفتن بشعره وولده، لكان صاحب تلك الفضيلة يرتفع عن هذه النقيصة.

وكتب تلميذه حسن ابن علي الجويني: ولقد عجبت ممن يزري على ذلك الشعر وهو القائل، ونقلته من خطه فقال: كتبت إلى المولى القاضي الأجل شرف الدين السديد عبد الله بن علي - أمتع الله الدنيا وأهلها ببقائه - وقد أبللت من مرضة صعبة:

عبد الإله الـسـديد حـقـاً	**بغـير زور وغـير مـين**
يا شـرف الـدين يا فـريداً	**شرف بالفضـل دولـتـين**
يا تاج فخري وكنز فقـري	**ويا معيني ونـور عـيـنـي**
قد كدت أقضي أسىً وأمضي	**وكدت تبقى بـلا جـويـنـي**

وكتب حسن بن علي الجويني في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسمائة بالديار المصرية - عمرها الله تعالى بدوام العز -: وقال المعري وضرب علي بن هلال مثلاً

طربت لضوء البارق المتعالـي	**ببغداد وهناً ما لهن ومـالـي؟**
فيا برق ليس الكرخ داري وإنما	**رمى بي إليه الدهر منذ ليالي**
فهل فيك من ماء المعرة نغـبة	**تغيث بها ظمآن ليس نسالـي؟**
ولاح هلال مثل نون أجـادهـا	**بماء النضار الكاتب ابن هلال**

ومنها:

إذا لاح إيماض سترت وجوهها	**كأني عمرو والمطي سعا لي**

هذا بيت مشكل التفسير بعيد المرمى، وذلك أن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة ولد العنبر والهجيم ومازن، تقول العرب إن هؤلاء الأخوة الثلاثة أمهم السعلاة وهي الغولة، وإن عمرو بن تميم تزوجها فولدت له هؤلاء الثلاثة.

ويقولون: إن السعلاة إذا رأت البرق طلبته، وكان عمرو يحفظها من البرق إذا لاح فيغطي وجهها، فغفل عنها مرة فلاح البرق فطلبته وقالت: يا عمرو أوصيك بولدك خيراً، ومضت ولم تعد إليه، فهذا معنى بيت المعري، وقد ضربه بعض المتأخرين أيضاً مثلاً، فقال يمدح رجلاً يعرف بابن بدر بجودة الخط فقال:

يا ابن بدر علوت في الخط قدراً	**حينما قايسوك بـابـن هـلال**
ذاك يحكي أباه في النقص لمـا	**جئت تحكي أباك عند الكمـال**

قرأت بخط سلامة بن عياض: رأيت بالري بخط علي بن هلال كتاب من نسب من الشعراء إلى أمه لأبي عبد الله بن الأعرابي، وهم خمسون شاعراً، وعلى ظهره: كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة، وبعد البسملة: يرويه ابن عرفة عن ثعلب عن ابن الأعرابي، وفي آخره بخطه: نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني النحوي - أيده الله -: بلغ عثمان بن جني نسخاً من أوله وعرضاً.

وكان لابن البواب يد باسطة في الكتابة أعني الإنشاء وفصاحة وبراعة، ومن ذلك رسالة أنشأها في الكتابة وكتبها إلى بعض الرؤساء ونقلتها من خط الحسن بن علي الجويني الكاتب أولها: قد افتتحت خدمة سيدنا الأستاذ الجليل - أطال الله بقاءه وأدام تمكينه وقدرته وتمهيده وكبت عدوه - بالمثال المقترن بهذه الرقعة افتتاحاً يصحبه العذر إلى جليل حضرته من ظهور التقصير فيه، والخلل البادي لمتأمليه، وقد كان من حقوق مجلسه الشريف أن يخدم بالغايات المرضية من كل صناعة، تأدياً لسؤدده وعلائه، وتصدياً للفوز بجميل رأيه، ولم يعد بي عن هذه القضية جهل بها، وقصور عن علمها، لكني هاجر لهذه الصناة منذ زمن طويل هجرة قد أورثت يدي حبسة ووقفة، حائلتين بينها وبين التصرف والافتتان والوفاء بشرط الإجادة والإحسان، ولا خفاء عليه - أدام الله تأييده - بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصناعة إلى فرط التوفر عليها، والانصراف بجملة العناية إليها، والكلف الشديد بها، والولوع الدائم بمزاولتها، فإنها شديدة النفار، بطيئة الاستقرار، مطمعة الخداع، وشيكة النزاع، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نوار قيدها الأعمال، شموس قهرها الوصال، لا تسمح ببعضها إلا لمن آثرها بجملته، وأقيل عليها بكليته، ووقف على تألفها سائر زمنه، واعتاضها عن خله وسكنه، ولا يؤسيه حيادها، ولا يغره انقيادها، يقارعها بالشهوة والنشاط، ويوادعها عند الكلال والملال، حتى يبلغ منها الغاية القصية، ويدرك المنزلة العلية، وتنقاد الأنامل لتفتيح أزهارها، وجلاء أنوارها، وتظهر الحروف

موصولة ومفصولة، ومعماة ومفتحة في أحسن صيغتها، وأبهج خلقتها، منخرطة المحاسن في سلك نظامها، متساوية الأجزاء في تجاورها والتيامها، لينة المعاطف والأرداف، متناسبة الأوساط والأطراف، ظاهرها وقور ساكن، ومفتشها بهج فاتن، كأنما كاتبها وقد أرسل يده وحث بها قلمه، رجع فيها فكره ورويته، ووقف على تهذيبها قدرته وهمته، القلب بها في حجر ناظره، والمعنى بها مظلوم بلفظه، وما ذهبت في هذه الخدمة مذهب المطرف المغرب بها، ولا المعول على شوافعها، لكن نهجت بها سبيلاً لأمثالها إقامة لرسم الخدمة المفروضة للسادة المنعمين على خدمهم وصنائعهم، فإن سعدت بنفاقها عليه وارتضائها لديه، سلمت من وصمة التضجيع والإهمال، وهجنة التقصير في شكر الإنعام والإفضال، ولسيدنا الجليل - أطال الله بقاءه - علو الرأي في الأمر بتسلم ما خدمت به، وتصريفه بين عالي أمره ونهيه إن شاء الله تعالى وحدث غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ في كتاب الهفوات قال: كان في الديوان كاتب يعرف بأبي نصر بن مسعود فلقي يوماً أبا الحسن علي ابن هلال البواب الكاتب ذا الخط المليح في بعض الممرات فسلم عليه وقبل يده. فقال له ابن البواب: الله الله يا سيدي ما أنا وهذا؟ فقال له: لو قبلت الأرض بين يديك لكان قليلاً. قال: لم؟ ولم ذاك يا سيدي؟ وما الذي أوجبه واقتضاه؟ قال: لأنك تفردت بأشياء ما في بغداد كلها من يشاركك فيها، منها الخط الحسن وأنه لم أر من عمري كاتباً من طرف عمامته إلى لحيته ذراعان ونصف غيرك. فضحك أبو الحسن منه وجزاه خيراً وقال له: أسألك أن تكتم هذه الفضيلة علي ولا تكرمني لأجلها. قال له: ولم تكتم فضائلك ومناقبك؟ فقال له: أنا أسألك هذا فبعد جهد ما أمسك، وكانت لحية ابن البواب طويلة جداً.

قال المؤلف: وأما الشعر الذي رثاه به المرتضى فهو:

رديت يا بن هلال والردى عرض ... لم يحم منه على سخط له البشر

ما ضر فقدك؟ ... بأن فضلك فيه

والأيام شـاهـدة الأنجم الزهـر؟
أغنيت في الأرض والأقوام كلهم من المحاسن ما لم يغنه المطـر
فللقلوب التي أبهجتـهـا حـزن وللعيون التي أقررتهـا سـهـر
وما لـعـيش إذا ودعـتـه أرج ولا الليل إذا فارقـتـه سـحـر
وما لنا بعد أن أضحت مطالعنـا مسلوبة منك أوضاح ولا غـرر

علي بن الهيثم الكاتب المعروف بجونقا

كان أحد الكتاب المستخدمين في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء، وكان فاضلاً أديباً كثير الاستعمال للتقعير والقصد لعويص اللغة، حتى قال المأمون فيما حدث به الفضل بن محمد اليزيدي عن أبيه قال: قال المأمون: أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيتي إلا علي بن الهيثم فإني أتحفظ إذا كلمته، لأنه يغرق في الإغراب. ونقلت من خط الصولي في أخبار شعراء مصر قال: وممن دخل مصر خالد بن أبان الكاتب الأنباري أخو عبد الملك بن أبان، حدثني الحسين بن علي الباقطائي: أنه شخص إلى مصر فبلغه اتساع حال علي بن الهيثم وكانت بينهما حرمة وكيدة، فكتب إليه من مصر بشعر طويل منه وكتب بماء الذهب.

على الخالق الباري توكلت إنه يدوم إذا الدنيا أبادت قرونهـا
فداؤك نفسي يا علي بن هيثـم إذا أكلت عجف السنين سمينها
رميتك من مصر بأم قـلائدي تزان وقد أقسمت ألا تهينهـا
بأبيات شعر خط بالتبر وشيهـا إليك قدماً حال حولان دونهـا

ويذكر فيه خبره مع غرمائه والقاضي، فبعث إليه سفتجة بألف دينار، وكتب إلى عامل مصر في استعماله فحسنت حاله.

وقال الجهشياري: كان لخالد بن أبان الكاتب الأنباري الشاعر حرمة بعلي بن الهيثم وبأبيه أيام مقامهم بالأنبار، وأضاق واختلت حاله وتدين من التجار ما أنفقه، فكثر غرماؤه وقدموه إلى القاضي فحبسه، ثم فلسه وأطلقه، وأقام بمصر وساءت حاله، وبلغه أن علياً قد عظم قدره، وتقلد ديوان الخراج للفضل بن الربيع لما استوزره الرشيد بعد البرامكة وارتفع مع المأمون بعد ذلك، فكتب إليه قصيدة نحواً من سبعين

بيتاً في رق بالذهب وبعث بها إليه أولها: على الخالق الباري. الأبيات، فوجه إليه بألف دينار.
قال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزباني: حدثنا أبو علي الحسن بن بشر، حدثني أبي قال: دخل علي بن الهيثم إلى سوق الدواب فلقيه نخاس فقال له: هل من حاجة؟ قال: نعم، الحاجة أناختنا بعقوتك، أردت فرساً قد انتهى صدره، وتقلقلت عروقه، يشير بأذنيه، ويتعاهدني بطرف عينيه، ويتشوف برأسه، ويعقد عنقه، ويخطر بذنبه، ويناقل برجليه، حسن القميص جيد الفصوص وثيق القصب، تام العصب، كأنه موج لجة، أو سيل حدور. فقال له النخاس: هكذا كان صلى الله عليه وسلم.
وقال المرزباني في المعجم: علي بن الهيثم التغلبي كاتب الفضل بن الربيع كان لسناً فصيحاً شاعراً، عاتبه الفضل يوماً على تأخره عنه وزاد عليه فقال:

وعدني الفضل رخيصاً جداً فعقني وازور عني صدا
وظن والظنون قد تـعـدا أني لا أصيب منـه أبـدا
أعد منه ألف بـد عـدا

وانصرف فلم يعمل للسلطان عملاً. حدثنا محمد اليزيدي قال: شهدت المأمون وهو جالس على دكة الشماسية، وعنده أحمد بن الجنيد الإسكافي وجماعة من الخاصة، إذ دخل عليه علي بن الهيثم المعروف بجونقا، فلما قرب منه قال: يا عدو الله يا فاسق يا لص يا خبيث سرقت الأموال وانتهبتها، والله لأفرقن بين لحمك وعظمك ولأفعلن، ثم سكن غضبه قليلاً، فقال أحمد بن الجنيد: نعم والله يا أمير المؤمنين، إنه وإنه ولم يدع شيئاً من المكروه إلا قاله فيه، فقال له المأمون وقد هدأ غضبه: يا أحمد، ومتى اجترأت على هذه الجرأة؟ رأيتني وقد غضبت فأردت أن تزيد في غضبي، أما إني سأؤدبك فأؤدب بك غيرك، يا علي بن الهيثم، قد صفحت عنك ووهبت لك كل ما كنت أقدر أن أطالبك به، ثم رفع رأسه إلى الحاجب وقال: لا يبرح ابن الجنيد الدار حتى يحمل إلى علي ابن الهيثم مائة ألف درهم ليكون له بذلك عقل، فلم يبرح حتى حملها. الجهشياري: أمر المأمون أن يؤذن للناس إذناً عاماً وأن يجلسوا على مراتبهم التي كانت قديماً إلى أن تعرض عليه فيأمر فيها بأمره ففعلوا ذلك، ودخل علي بن الهيثم فجلس في مجلس العرب وتغامز الكتاب عليه، وأقبل عبيد الله بن الحسن العلوي فقال إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب للكتاب: أطيعوني وقوموا معي، فمضوا بأجمعهم مستقبلين لعبيد الله

بن الحسن، فسلموا عليه فرد عليهم. فقالوا لنا حاجة، فقال مقضية، قالوا: تجلس في مجلسنا. فقال: سبحان الله: ينكر ذلك أمير المؤمنين. قالوا: هي حاجة تقضيها لنا ونحتمل ما ينالك فيها. قال: أفعل لعلمي بموقع الكتاب من قلوب السلاطين وقدرتهم على إصلاح قلوبهم إذا فسدت، وإفسادها إذا صلحت، ومال إلى ناحيتهم فجلس معهم. وكتب صاحب المراتب إلى المأمون، فلما وقف على الموضع الذي جلس فيد عبيد الله أنكره وبعث إليه: ما هذا المجلس الذي جلست فيه؟ فقال إبراهيم بن إسماعيل للرسول: بلغ أمير المؤمنين عند السلام وقل له: خدمك وعبيدك الكتاب يقولون: العدل والإنصاف موجودان عندك وعند أهلك، أخذتم منا رجلاً من وجوه النبط فأخذنا مكانه وجهاً من وجوه أهلك، ذلك علي بن الهيثم جالس مع العرب، فردوا علينا رجلنا وخذوا رجلكم، فضحك جميع من في داره وتشوس علي بن الهيثم وضحك المأمون وقال: لقد مني علي بن الهيثم من إبراهيم بن إسماعيل ببلاء عظيم، وكان أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخزيمي قد أغري بهجاء علي بن الهيثم الأنباري الكاتب، وكان السبب في ذلك أنه وقع لأبي يعقوب عنده ميراث فدافعه فهجاه، وكان علي بن الهيثم متشدقاً متفيقهاً يدعي العربية ويقول: إنه تغلبي وكان من قرية يقال لها أنقوريا، ففي ذلك يقول الخزيمي:

أنقوريا قرية مـبـاركة تقلب فخارها إلى الذهب

محمد بن علي العباسي عن أبيه قال: شهدت علي بن الهيثم جونقاً، وقد حضره منارة صاحب الرشيد فقال له: يا منارة استلبت لوطي. فقال: - أصلحك الله - ما ظننتك تتلقاني بمثل هذا؟ شيخ مثلي يلعب بالصبيان، فضحك جميع من في المجلس، اللوط: الإزار. كأنه أراد أنك لم تحسن عشرتي وأنك أخذت ثيابي. وذكر حماد بن إسحاق عن بشر المريسي قال: حضرت المأمون أنا وثمامة ومحمد بن أبي العباس الطوسي وعلي بن الهيثم فناظروا في التشيع. فنصر محمد بن أبي العباس مذهب الإمامية، ونصر علي بن الهيثم مذهب

الزيدية، وشرق الأمر بينهما، إلى أن قال محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم: يا نبطي ما أنت والكلام؟ فقال المأمون وكان متكئاً فجلس: الشتم عي والبذاء لؤم، وقد أبحنا الكلام وأظهرنا المقالات، فمن قال بالحق حمدناه، ومن جهل وقفناه، ومن ذهب عن الأمر حكمنا فيه بما يجب، فاجعلا بينكما أصلاً، فإن الكلام الذي أنتم فيه من الفروع، فإذا افترعتما شيئاً رجعتما إلى الأصول، ثم عادا إلى المناظرة فأعاد محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم مثل مقالته الأولى: فقال له علي: والله لولا جلالة المجلس وما وهب الله من رأفة أمير المؤمنين وأنه قد نهانا لأعرفت جبينك، وحسبنا من جهلك غسلك المنبر بالمدينة. فاستشاط المأمون غضباً على محمد وأمر بإخراجه، فعاذ بطاهر حتى شفع فيه، فرضي عنه. ميمون بن هارون بن مخلد ابن أبان حدثني أبي قال: أدخلني أبي مخلد بن أبان مع القاسم بن أحمد بن الجنيد، وكان مخلد وأحمد متواخيين في شراء غلات السواد، فأشرفنا على ربح عشرة آلاف ألف درهم، ثم اتضع السعر فحصل علينا وضيعة ستة آلاف ألف درهم فطولبنا بها أشد مطالبة، واشتد كتاب المأمون علينا فيها، وكان المأمون يستاك في كل يومين ساعتين كاملتين. فدعاني المأمون يوماً وهو يستاك وكلمني بشيء ثم قال لي: ما معنى قول الخريمي في علي بن الهيثم؟ فدبنقاً لذاك الحديث دبنقاً. فقلت له: أنا أتكلم بالنبطية ولا أعلم ما معنى هذا، وأحمد بن الجنيد أرطن بها منىً، فأومأ إلي بمسواكه أن انصرف فانصرفت، فلما بلغت الستر حتى لقيني أحمد ابن الجنيد داخلاً وكان ذا خرج من الدار قبلي انتظرني، وإذا خرجت قبله انتظرته، فوقفت منتظراً له فإذا به قد خرج فقلت له: ما كان خبرك؟ فأخرج إلى توقيع المأمون بخطه بترك ما كنا نطالب به من الستة آلاف ألف عن ابني وابنه. وقال: قال لي: ما معنى قول الخزيمي فدبنقاً لذا الحديث دبنقاً؟ فقلت: ضرطاً لذا الحديث فضحك وقال لي: إني سألت مخلداً عنها فلم يعرفها فاسأل حاجة، فقلت: ابتاع ابني وابن مخلد غلات السواد وقدرنا للربح فخسرنا ستة آلاف ألف درهم ولا حيلة لنا فيها وضيعتي بجلولاً تساوي ثلاثة آلاف ألف درهم، فيأمر أمير

المؤمنين بأخذها عن ابن مخلد وتسبيب ما على ابني علي لأحتال له أولاً فأولاً، فقال: ويحك، تبذل نفسك وضيعتك عن ابن مخلد؟ فقلت: نعم، أنا غررته وأملت الربح ومنعته أن يعقده على التجار ويتعجل فصله، وقد كانوا بذلوا لنا فيه ربحاً كبيراً. فقال لي: أي نبطي أنت؟ هات الدواة، فقدمتها إليه فوقع بإبرائنا جميعاً من المال وترك ضيعتي علي. وقال المأمون يوماً: ببابي رجلان: أحدهما أريد أن أضعه وهو يرفع نفسه، وهو علي ابن الهيثم، والآخر أريد أن أرفعه وهو يضع نفسه، وهو الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد برمك.

علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم

أبو الحسن. كان أبوه يحيى أول من خدم من آل المنجم، وأول من خدم المأمون وقد ذكر في بابه، ونادم ابنه علي هذا المتوكل، وكان من خواصه وندمائه والمتقدمين عنده، وخص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد على الله، وكان شاعراً راوية علامة أخبارياً.مات سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسر من رأى في آخر أيام المعتمد. وأخذ أبو الحسن هذا عن جماعة من العلماء منهم: إسحاق بن إبراهيم وشاهده، وكان يجلس بين يدي الخلفاء ويأمنونه على أسرارهم، وكان حسن المروءة ممدحاً فاتصل بمحمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي. ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة نقل إليها من كتبه ومما استكتبه للفتح بن خاقان أكثر، ما اشتملت عليه خزانة حكمة فقط، وله تصانيف منها: كتاب الشعراء القدماء والإسلاميين، كتاب أخبار إسحاق بن إبراهيم، كتاب الطبيخ. قال عبيد الله بن أبي طاهر: كان أبو الحسن علي بن يحيى مشتهراً بالأدب كله مائلاً إلى أهله معتنياً بأمورهم، وكان منزله مألفاً لهم، وكان يوصل كثيراً منهم إلى الخلفاء والأمراء، ويستخرج لهم منهم الصلات، وإن جرى على أحد منهم حرمان وصله من ماله.

وكان يبلغ من عنايته بهم ورغبته في نفعهم أنه كان ربما أهدى إلى الخلفاء والأمراء عنهم الهدايا الظريفة المليحة ليستخرج لهم بذلك ما يحبون.

قال: حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال:

قدم على أبي إدريس بن أبي حفصة في أيام المتوكل وتوسل إليه، فأوصل شعره إليه وكلمه فيه، فاستخرج له منه عشرة آلاف درهم، فقال إدريس بن أبي حفصة:

أضحى علي بن يحيى بالصدق في الوعد
وهو مشتـهـر والتصديق في الأمل
لو زيد بالجود فـي رزق لزاد جودك في رزقي
وفـي أجـل وفي أجـلـي

ثم وصله من ماله - لما عزم إدريس على الانصراف إلى بلده - بجملة جليلة، ولم يزل إدريس مقيماً عنده في ضيافته إلى وقت ارتحاله، فقال إدريس عند وداعه إياه.

ما من دعوت ولبانـي كمن دعوت فلم
بـنـائلـه يسمع ولم يجب
إني وجدت علياً إذ خيراً من الفضة
نـزلـت بـه البيضاء والذهب

وجدث علي بن هارون بن يحيى بن المنجم في كتاب الأمالي له قال: حدثني عمي أبو أحمد يحيى بن علي، حدثني أبي علي بن يحيى قال: وفد علي عافية بن شبيب بن خاقان بن الأهتم السعدي من البصرة فأنزلته علي وأحسنت ضيافته، ورعيت له حرمة الأدب الذي توسل به، فأقام معي مدة في كفاية وكرامة وحسن ضيافة، وحملته على فرس واستوصلت له جماعة من إخواني، فأخذت له منهم ما تأثث به حاله وأصلح به شأنه، ثم ذكرته للمتوكل - رحمة الله عليه - ووصفت له أدبه، وأن معه ظرفاً يصلح به لمجالسته، فأمرني بإحضاره، ودخل عليه فوصله وأجرى عليه رزقاً وجالسه، فمكث مدة على ذلك ثم انفرجت الحال بيني وبينه، وكفر ما كان من إحساني إليه، وبسط لسانه يذكرني بما لم أستحقه منه، وكان المتوكل يغريه بي لما رأى منه، فيضحك المتوكل مما يجري، ويجيئني ذلك فيه وهو لا يدري. قال أبو الحسن: فأهدى في يوم من أيام النوازير إلى المتوكل فرساً فنظر إليه المتوكل فاستحسنه، ثم أقبل على الفتح بن خاقان فقال: أما ترى إلى هذا الفرس الذي أهداه عافية، ما أحسنه وأعتقه?! هذا خلاف ما يصفه به علي بن يحيى من صغر الهمة وضيق النفس والخساسة، من تبلغ همته إلى أن يهدي مثل هذا الفرس لا يوصف بالخساسة ولا بضيق النفس، وهو في ذلك كله ينظر إلي ويقصدني بالكلام ويريد العبث بي، فتركته حتى أطنب في هذا المعنى وبلغ منه ما أراد، ثم قلت له: يا أمير المؤمنين، أليس من أهدى مثل هذا الفرس عندك ذا همة وقدر? قال: بلى. قال: قلت: فأبعد همة وأرفع قدراً من حمله عليه. قال: ومن حمله عليه? قال: قلت أنا حملته عليه. قال: فقال: يا عافية ما يقول علي? قال: فقال: صدق يا أمير المؤمنين هو حملني عليه. قال: فانكسر عني ثم. أقبل علي الفتح خجلاً فسريت الحال بيني وبين عافية حتى هجاه من كان يطوف به من الشعراء، فقال فيه أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن وكنت أدخلته على المتوكل، وجالسه وشكر لي ذلك إذ كفره عافية:

ستعلم أن لؤم بني سيظهر منه للناس
تـمـيم الخفي
وما إن ذاك أنك من ولكن ربما جر الدعـي
تميم

وقال فيه أبو هفان:

لو كنت عافية لكنت في العالمين كما

محبـبـاً تحب العافية

وقال فيه أبو الحسن البلاذري:

من رآه فقد رأى عربياً مدلـسـا
ليس يدري جليسه أفسا أم تنفسـا؟

وقال فيه أبو العنبس الصيمري:

أبا حسن بمنصبـك الـصـمـيم أ أذن في السلاح على التميمي؟
فوالرحمن لـولا ألـف سـوط لفارق روحه روح الـنـسـيم

وهجاه أبو الحسن علي بن يحيى المنجم فقال:

أأهجو تميماً إن تعرض ملصق إليها دعي قد نفته قرومـهـا؟
فآخذها طرا بـذنـب دعـيهـا فأين نها قومي وأين حلومها؟؟
وما في دعي القوم ثأر لـثـائر ولم تقترف ذنباً فيهجى صميمها

أعافي إلى اللوم منك سجية وشر خلال الأدعياء قديمها

قال أبو الحسن: وترقى به الأمر في منابذتي إلى أن ادعى في يوم من الأيام بحضرة المتوكل لأنه أحسن مروءة مني. فقال الفتح: محنة هذا سهلة، يوجه أمير المؤمنين إلى منزلهما من يحضر ما يجد من الطعام حاضراً، فدعا المتوكل بقائد من قواده وقال: امض إلى منزل علي ابن يحيى فانظر ما تجد فيه من الطعام حاضراً فأحضره، وامنعهم من أن يشتروا شيئاً أو يعملوه، وافعل مثل ذلك بمنزل عافية، فصار إلى منزل علي بن يحيى فوجد فيه طعاماً عتيداً فحمل جونة حسنة، وصار إلى منزل عافية فلم يجد فيه غير سفرة خلقة معلقة في مجلسه، فأمر فأنزلت فوجد فيها كسراً من خبز خشكار وملحاً من ملح السوق، وقطعة جبن يابس، وقطعة من سمك مالح، وقصعة مكسورة فيها ذلك الملح، وخرقة وسخة منقطعة، فحمل السفرة بحالها وصار إلى المتوكل فعرض عليه الجونة فاستحسنها وقال للفتح: أما ترى ما أنظف هذا الطعام وأحسنه؟! وأحضر السفرة فقال: ما هذا؟

قال: هذا هو الذي وجدته في منزل عافية. قال: افتحوها، ففتحت فاستقذر ما رأى فيها وعجب منه وقال: يا فتح، أظننت أن رجلاً يجالسني وقد وصلته بعدة صلات فيكون هذا مقدار مروءته؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما له عذر، فدعا بخادم من خدمه وقال: امض إلى عبيد الله بن يحيى فقل له: أخرج إلى ما وصل إلى عافية من مالي من رزق وصلة منذ خدمني إلى هذا الوقت، فمضى الخادم ولم يكن بأسرع من أن وافى برقعة من عبيد الله وفيها مبلغ ما صار إلى عافية،فإذا هو ثلاثمائة ألف درهم. فقال المتوكل: يا فتح، أما كان يجب أن يتبين أثر النعمة على من وصل إليه هذا المال؟ ما في هذا خير ولا يصلح مثله لمجالستي؟ فأخرجه من الجالسة وأمر بنفيه إلى البصرة وهي بلده، فلما حضر خروجه طالبته صاحبة المنزل بأجرته، فدفع إليها ببقية مالها عليه حبا كان في الدار خلقاً، واتصل الخبر بابن المنجم قال: فصرت إلى المتوكل فعرفته ذلك فعجب منه وأمر بإحضار المرأة ومسألتها فأخبرت به، فأمر لها بصلة وتقدم إلى عبيد الله في أخذ الحب وإنفاذه مع رسول قاصد خلف عافية يلحقه بالبصرة وأمره أن يكتب إلى صاحب المعونة وصاحب الصدقة والخراج والقاضي وصاحب البريد بحضور الجامع والتقدم إلى وجوه أهل البصرة في الحضور وإحضار عافية وتسليم الحب إليه بحضرتهم وإشهادهم عليه وتعريفهم ما كان من خبره مع المرأة صاحبة داره، ففعل ذلك وصار به عافية شهرة في بلده. وحدث هارون عن عمه عن أبيه علي بن يحيى قال: كنت أنادم المتوكل في كل ليلة من الليالي، فغلب على النبيذ فأطرقت كالمهموم وأنا منتصب قال: فدعا المتوكل بنصر سلهب وقال: امض إلى منزل علي بن يحيى فانظر ما تجد فيه من الطعام فاحمله إلي واعجلهم غاية الإعجال ولا تدعهم يهيئون شيئاً، قال: فمضى نصر فامتثل أمره وحمل جونة مملوءة من ضروب الطعام وجاء بها إلى المتوكل، ففتحت بين يديه ففاحت برائحة شوقته إلى الطعام، واستحسن ما رأى فيها فأكل منها والفتح معه، ثم قال له: أما ترى ما أحسن هذا الطعام وما أطيبه

وأنظفه؟! ولو كان علي أعد هذا لمثل ما كان منا ما زاد على حسن هذه الجونة وطيب ما فيها. قال: فقال له الفتح: هذا يا أمير المؤمنين يدل على مروءته، وإنه ليجب أن يعان عليها. قال: فصاح بي يا علي، فقمت قائماً وقلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: تعال، فقربت منه فقال انظر: إلى هذه الجونة وما فيها، فنظرت إليها فقال: كيف تراه؟ قلت: أرى طعاماً حسناً، قال: فتدري من أين هو؟ فقال قلت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: فإنها من منزلك، وإني فعلت كذا وكذا وقص على القصة وقال: قد والله سرني ما رأيت من مروءتك وسرورك، وكذا فليكن من خدم الملوك، قال لي: ما تحب أن أهب لك؟ قال: قلت مائة ألف دينار، قال: أنت والله تستحقها وما هو أكثر منها، يمنعني من دفعها إليك إلا كراهة الشنعة وأن يقال: وصل جليساً من جلسائه في ليلة بمائة ألف دينار، ولكني أوصلها إليك متفرقة وأضمن فتحاً إذكاري بذلك حتى تستوفيها، وقد وصلتك بمائة ألف درهم على غير صرف فانصرف بها معك. قال: وأمر بإحضارها فأحضرت عشر بدر وحملت معي إلى منزلي، ثم لم يزل يتابع لي الصلات حتى وفاني مائة ألف دينار. قال علي بن يحيى: وأحصيت ما وصل إلي من أمير المؤمنين المتوكل من رزق وصلة فكان مبلغه ثلاثمائة ألف دينار.قال: ولما مات علي بن يحيى قال ابن بسام يرثيه:

قد زرت قبرك يا علي مسلمـاً ولك الزيارة من أقل الواجب
ولو استطعت حملت عنك ترابه فلطالما عني حملت نـوائبـي

وفي كتاب النورين للحصري: وقال علي بن المنجم: فلا أدري أهو هذا أم علي بن هارون بن علي بن يحيى بن المنجم؟:

ومن طاعتي إياه أمطر ناظري إذا هو أبدى من ثناياه لي برقاً
كأن جفوني تبصر الوصل هارباً فمن أجل ذا تجري لتدركه سبقاً

ولعلي هذا ابن يكنى أبا عيسى واسمه أحمد، كان أديباً وهو مذكور في بابه. وقال علي بن يحيى يرثي المأمون ويمدح المعتصم:

من ذا على الدهر يعديني فقد كثرت	عندي جنايته يا معشر الناس
أخنى على الملك المأمون كلكله	فصار رهناً لأحجار وأرماس
قد كاد ينهد ركن الدين حين ثوى	ويترك الناس كالفوضى بلا رأس
حتى تداركهم بالله معتصم	خير الخلائف من أولاد عباس

ودخل أبو علي البصير على علي بن يحيى وقد أصيب ببعض أهله، وكان قد بعث إليه ببر قبل ذلك فقال له: بلغني مصابك، ووصل إلي ثوابك، فأحسن الله جزاءك وعزاءك.

قال المرزباني وهو القائل في نفسه:

علي بن يحيى جامع لمحاسن	من العلم مشغوف بكسب المحامد
فلو قيل: هاتوا فيكم اليوم مثله	لعز عليكم أن تجيئوا بواحد

وله:

سيعلم دهري إذا تنكر أنني	صبور على نكرانه غير جازع
وأني أسوس النفس في حال عسرها	سياسة راض بالمعيشة قانع
كما كنت في حال اليسار أسوسها	سياسة عف في الغنى متواضع
وأمنعها الورد الذي لايليق بي	وإن كنت ظمآن بعيد الشرائع

وله:

بأبي والله من طرفا	كابتسام الصبح إذ خفقا
زادني شوقاً برؤيته	وحشا قلبي به حرفا
من لقلب هائم كلف	كلما سكنته قلقا
زارني طيف الحبيب فما	زاد أن أغرى بي الأرقا

ولما مات علي بن يحيى قال علي بن سليمان أحد شعراء العسكر يرثيه:

قد زرت قبرك يا علي مسلماً	ولك الزيارة من أقل الواجب

ولو استطعت حملت عنك ترابه فلطالما عني حملت نوائبي
ودمي فلو علمت بأنهيروي ثراك سقاه صوب الصائب
لسفكته أسفاً عليك وحسرة وجعلت ذاك مكان دمع ساكب
فلئن ذهبت بملء قبرك سؤدداً لجميل ما أبقيت ليس بذاهب

وحدث أبو علي التنوخي في نشواره: حدثني أبو الحسن ابن أبي بكرالأزرق قال: حدثني أبي قال: كان بكركر من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى بن المنجم وقصر جليل فيه خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبذولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأعرق فيه حتى ألحد، وكان ذلك آخر عهده بالحج وبالدين والإسلام أيضاً. وذكر جحظة في أماليه: حدثنا ابن حميد قال: قال المتوكل لعلي بن يحيى المنجم: اهج مروان بن أبي الجنوب. فقال: يا أمير المؤمنين، ومن مروان حتى أهجوه؟ قال: مروان مولى بني أمية ومولى القوم منهم، وبعد: فإنهم بنو عمي وأتت العداوة بيننا، فأنت من أنت؟ قال: أنا مولاك يا أمير المؤمنين. قال: دعنا من هذا البرود، اهج الرجل وإلا أمرته أن يهجوك. فوقف ساعة متفكراً فاندفع مروان يقول:

ألا إن يحيى لا يقاس إلى أبي وعرض علي لا يقاس إلى عرضي
أناس من الأنباط أكثر فخرهم إذا فخر الأشراف بعضاً على بعض
تنحل أصلاً في المجوس إليهم نفاها من

ودعوة بحكمهم يقضي
أبى ذاك آذرباد فيكم فأنتم من السفل الأرذال وللنبط المحض
حديثكم غث وقربكم أذى وآدابكم ممزوجة المقت بالبغض
تسوقتم عند الإمام بحبه وسوقكم عند الروافض بالرفض
متى ما تعاط المجد والفخر أهله فلستم من الإبرام فيه ولا نقض
إخال علياً من تكامل مقته يطاحر وجهي وهو يمشي على الأرض

قال أحمد بن أبي طاهر: كنت يوماً عند أبي الحسن يحيي المنجم في أيام المعتمد فدخل عليه ابنه هارون فقال له: يا أبت، رأيت في النوم أمير المؤمنين المعتمد وهو في داره على سريره إذ بصر بي فقال: أقبل علي يا هارون، يزعم أبوك أنك تقول الشعر فأنشدني طريد هذا البيت:

أسالت على الخدين دمعاً لو أنه من الدر عقد كان ذخراً من الذخر

فلم أرد عليه شيئاً وانتبهت. قال: فرجف عليه علي بن يحيى غضباً وقال: ويحك؟ فلم لم تقل؟:

فلما دنا وقت الفراق وفي الحشا لفرقتها لذع أحر من الجمر
أسالت على الخدين دمعاً لو أنه من الدر عقد كان ذخراً من الذخر

قال ابن أبي طاهر: فانصرفنا متعجبين من حفظ هارون لما هجس في خاطره، ولمبادرة علي ابن يحيى وسرعته في القول.

قال جحظة في أماليه: حدثت عن يزيد بن محمد المهلبي قال: كنت أرى علي بن يحيى المنجم فأرى صورته وصغر خلقته ودقة وجهه وصغر عينيه وأسمع بمحله من الواثق والمتوكل، فأعجب من ذلك وأقول: بأي سبب يستظرفه الخليفة وبماذا حظي عنده؟ والقرد أملح منه قباحة. فلما جالست المتوكل رأيت علي بن يحيى قد دخل على المتوكل في غداة من الغدوات التي قد سهر في ليلتها بالشرب وهو مخمور يفور حرارة يستثقل لكل أمر يخف دون ما يثقل، فوقف بين يديه وقال: يا مولاي، أما ترى إقبال هذا اليوم وحسنه وإطباق الغيم على شمسه وخضرة هذا

البستان ورونقه؟ وهو يوم تعظمه الفرس وتشرب فيه لأنه هرمز روز، وتعظمه غلمانك وأكرتك مثلي من الدهاقين، و وافق ذلك يا سيدي أن القمر مع الزهرة، فهو يوم شرب وسرور وتجل بالفرح، فهش إليه وقال: ويلك يا علي، ما أقدر أن أفتح عيني خماراً. فقال: إن دعا سيدي بالسواك فاستعماه وغسل بماء الورد وجهه، وشرب شربة من رب الحصرم أو من متنة مطيبة مبرداً ذلك بالثلج انحل كل ما يجد، فأمر بإحضار كل ما أشار به. فقال علي: يا سيدي، وإلى أن تفعل ذلك تحضر عجلانيتان بين يديك مما يلائم الخمار ويفيق الشهوة ويعين على تخفيفه. فقال: أحضروا علياً كل ما يريد، فأحضرت العجلانيتان بين يديه وفراريج كسكر قد صففت على أطباق الخلاف وطبخ حماضية وحصرمية ومطجنة لها مريقة، فلما فاحت روائح القدور هش لها المتوكل فقال له يا علي: أذقني، فجعل يذيقه من كل قدر بجرف يشرب بها، فهش إلى الطعام وأمر بإحضاره. فالتفت علي إلى صاحب الشراب فقال له: ينبغي أن يختار لأمير المؤمنين شراب ريحاني ويزاد في مزاجه إلى أن يدخل في الشرب فيهنئه الله إياه إن شاء الله قال: فلما أكل المتوكل وأكلنا نهضنا فغسلنا أيدينا وعدنا إلى مجالسنا وغنى المغنون، فجعل علي يقول:هذا الصوت لفلان، والشعر لفلان، وجعل معهم وبعدهم غناء حسناً إلى أن قرب الزوال، فقال المتوكل: أين نحن من وقت الصلاة؟ فأخرج علي أسطرلاباً من فضة في خفه، فقاس الشمس وأخبر عن الارتفاع وعن الطالع وعن الوقت، فلم يزل يعظم في عيني حتى صار كالجبل، وصار مقابح وجهه محاسن، فقلت: لأمر ما قدمت، فيك ألف خصلة: طبيب ومضحك، وأديب وجليس، وحذق طباخ، وتصرف مغن، وفكر منجم، وفطنة شاعر، ما تركت شيئاً مما يحتاج إليه الملوك إلا ملكته.

قال جحظة: وحدثني رذاذ غلام المتوكل قال: شهدت علي بن يحيى المنجم وقد أمره المتوكل أن يغنيه وكنت جالساً إلى جانبه فقال لي: قد وقعت، وإن تمنعت جد بي حتى أغنى ثم لا يكون له موقع،

والمبادرة إلى أمره وسرعة الطاعة له أصوب، اضرب علي فضربت عليه وغنى:

زار من سلمى خيال موهناً حبذا ذاك الخيال الطارق
جاد في النوم بما ضنت به ربما يغنى بذاك العاشـق

فقال زه، أجدت والله يا علي، فقال له علي: قد فرحتك يا سيدي ففرحني، فدعاه وحباه بمشمة عنبر كانت بين يديه في صينية ذهب عليها مكبة منها، وأمر له بألف دينار وتخوت ثياب. فقال لي: يا أبا شريك، أناصفك؟ فقلت: لا والله، لا قبلت من ذلك لا الكل ولا النصف، فبارك الله لك فيه.

قال جحظة: فحدثني علي بن يحيى المنجم قال: قلت مرة - وقد أخذ مني النبيذ بين يدي الواثق - لمن كان يسقيني: ويلك، أجهزت والله علي، سقيتني الكأس حية فألاقتلتها. فسمع الواثق فقال: لم يعد بك قول حسان:

إن التي ناولتني فرددتهـا قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ألا تراه أنكر عليه مزجها؟ قلت: حسان أعرابي لا يحسن شرب الخمر، وكان أيضاً يشربها تغنماً لبعد عهده بها، ولكن أردت من ساقي أن يأخذ بقول أفتى الخلق وأملحهم أدباً وأعلمهم بأدب الشرب، قال: ومن هو؟ قلت: أبو نواس، قال: حين يقول ماذا؟ قلت: حين يقول:

لا تجعل الماء لها قاهراً ولا تسلطها على مائها

فقيل لي لما حضرت من الغد: إن الواثق قال: لله دره، ما أسرع جوابه وأحسن انتزاعه، لكنه أخرج عربدته كلها على حسان بن ثابت، فلما حضرت بين يديه قال لي: هيه يا علي سرت أمس؟ فقلت يا سيدي من شرب سكر، ومن كان أمره إلى نفسه في نبيذه رفق، ومن كان أمره إلى غيره خرق. قال: فعربدت على حسان وثلبته وما يستحق ذلك، وإنه لطب بشرب الكأس مداح لشاربيها، أليس هو الذي يصف ربيعة بن مكرم؟ فبلغ من ذلك أحسن ما يكون الفتى عليه بقوله:

نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منـه فـإنـه شريب خمر مسعر لحـروب

وهو أيضاً من المعدودين في وصاف الخمر وشرابها، أليس هو القائل؟:

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الفـداء

نوليها الملامة إذ ألـمـنـا إذا ما كان مغث أو لحـاء
ونشربها فتتركنا ملـوكـاً وأسداً ما ينهنهنا اللـقـاء

ويلك، أليس هو الذي يقول؟:

وممسك بصداع الرأس من سكر ناديته وهو مغلوب فـفـدانـي
لما صحا وتراخى العيش قلت له: إن الحياة وإن الـمـوت سـيان
فاشرب الخمر ما واتاك مشربـه واعلم بأن كل عيش صالح فـان

فقلت له: لو حضرك والله يا سيدي لأقر أنك أحفظ لعيون شعره منه، فالويل لجليسك، بماذا ينفق عندك ورواياتك هذه الرواية. فقال: ويحك يا علي، إنما الويل لجليسي إذا جالس من لا يعرف قدر ما يحسن.

قال أحمد بن أبي طاهر: اجتمعنا عند أبي الحسن علي بن يحيى أنا وأبو هفان عبد الله بن أحمد العبدي وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان:

وقائل إذ رأى عزبي عن الطـلـب: أتهت أم نلت ما ترجو من النشب??
قلت: ابن يحيى علي قد تكفـل لـي وصان عرضي كصون الدين للحسب

فقال التمار:

يذكـي لـزواره نـاراً مـنـورة على يفاع ولا يذكي على صبـب
من فارس الخير في أبيات مملكة وفي الذوائب من جرثومة الحسب

قال أحمد بن أبي طاهر: فقلت:

له فلائق لم تطبع علـى طـبـع ونائل وصلت أسبابـه سـبـبـي
كالغيث يعطيك بعد الري وابـلـه وليس يعطيك ما يعطيك عن طلب

قال: فوصلهم وخلع عليهم وحملهم. قال عبيد الله: حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال: اتصل أبي بأمير المؤمنين المتوكل على الله فغلب عليه وعلى الفتح بن خاقان بخدمته وأدبه وافتنانه وتصرفه في كل ما تشتهيه الملوك، وكان الفتح بن خاقان هو الذي وصفه للمتوكل، وكان بعد موت محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، لأن أبي كان متصلاً به وشديد الاختصاص بخدمته، حتى لقد مات محمد بن إسحاق ويده في يده، فلما مات دخل على الفتح بن خاقان فأنشده يمدحه بقصيدة أولها:

سأختار من حر الكـلام قـصـيدة لفتح بن خافان تفوق الـقـصـائدا

يلذ بـأفـواه الـرواة نـشـيدهـا ويشنا بها من كان للفتـح حـاسـدا
لعمرك إن الفتح مذ كـان يافـعـاً ليسمو إلى أعلى ذرى المجد صاعدا
فريع المولى ساد في خمس عشـرة موالى بني العباس لم يبـق واحـدا
وبذهـم طـرا نـدى وشـجـاعة فألقوا إليه مذعنـين الـمـقـالـدا

قال: فلم أر الفتح اهتز لشيء من الشعر اهتزازه لهذه القصيدة، ولا سر بأحد قدم عليه سروره بعلي بن يحيى، ثم قام الفتح من فوره فدخل على المتوكل فعرفه مكانه فأذن له واستجلسه، وأمر أن يخلع عليه فخلع عليه خلع المجالسة، فكان آنس خلق الله به وأغلبهم عليه وعلى الفتح، وتقدم الجلساء جميعاً عنده ووثق به حتى عزم على إدخاله معه إلى الحرام إذا جلس معهن. وذاك أنه شكا إلى الفتح أنه قعد مع الحرم لم يكن له من يستريح إليه ويأنس به وقال: قد عزمت أن أدخل علي بن يحيى فأستريح إليه، فقال له الفتح: ما يصلح لذلك غيره، فبلغ ذلك علي بن يحيى فقال للفتح: أنا قدرت أن أتخلص من هذا بك، فوكدت على الأمر فيه لست أفعل. فقال له الفتح: إن هذا الذي ندبك إليه أمير المؤمنين منزله ليس فوقها منزله في الخصوص، فقال: قد علمت ذلك وشكرت تفضل أمير المؤمنين وتسمعه، ثم يتفضل بالإعفاء منه. قال: ما هو؟ قال: قد علمت أن أمير المؤمنين أشد الناس غيرة، وأن النبيذ ربما أسرع إلي، ولست آمن بعض هذه الأحوال، وأن ينسى عند غلبة النبيذ ما كان منه فيقول: ما يصنع هذا معي عند حرمي؟ فيعجل علي بشيء لا يستدرك، وليس بيني وبين هذا عمل، قال: فقال المتوكل: تخلصت يا علي مني بألطف حيلة، وأعفاه. قال يحيى: وحدثني أبي قال: قال أمير المؤمنين المتوكل يوماً من الأيام: يا علي، لك عندي ذنب - قال هذا ونحن بدمشق - قال: فأكبرت ذلك وقمت قائماً بين يديه وقلت: أعوذ بالله من سخط أمير المؤمنين، ما الذنب يا أمير المؤمنين؟ فلعله كذب كاشح أو بغي حاسد، فقال: لا خير فيمن أثق به. قال

فقلت: يتفضل علي أمير المؤمنين بتعريفي الذنب، فإن كان لي عذر اعتذرت، وإلا اعترفت وعدت بعفو أمير المؤمنين.فقال: أتحتاج إلى شيء وتسأل غيري? فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين? قال: أخبرني بختيشوع أنك وجهت إليه واستقرضت منه عشرين ألف درهم، فلم فعلت ذلك? وما ذلك، وما منعك أن تسألني فأصلك? تأنف من مسألتي? فقلت: يا أمير المؤمنين، ما منعني ذلك، وإن صلات أمير المؤمنين متتابعة عندي من غير مسألة، ولكن بختيشوع ممن آنس به، فاستعرت منه هذه الدراهم على ثقة مني بأن تفضل أمير المؤمنين غير متأخر عني فأردها من ماله، قال: فقال لي: قد عفوت لك عن هذه المرة فلا تعد إلى مثلها، وإن احتجت فلا تسأل غيري أو تبذل وجهك له، ثم خدم علي بن يحيى المنتصر بن المتوكل فغلب عليه أيضاً، وقدمه المنتصر على جماعة جلسائه وقلده أعمال الحضرة كلها - العمارات والمستغلات والمرمات والحظائر وكل ما على شاطئ دجلة إلى البطيحة من القرى - ثم خدم المستعين بالله فقدمه وأحبه وأحله محله من الخلفاء ممن كان قبله، وأقره المستعين على ما تقلده من أعمال الحضرة، ثم حدثت الفتنة وانحدر مع المستعين إلى مدينة السلام فلم يزل معه إلى أن خلع المستعين، فأقام علي بن يحيى يغدو ويروح إليه بعد الخلع إلى أن حله من البيعة التي كانت في عنقه، ولم يكن المستعين قبل الخلع بسنة يأكل إلا ما يحمل إليه من منزل علي بن يحيى في الجون إلى دار أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر فيفطر عليه، وكان يصوم في تلك الأيام.

قال يحيى بن علي: قال لي أبي: صرت إلى المستعين لما صير به إلى قصر الرصافة فوجدت عنه قرب داية المعتز وعيسى بن فرخانشاه وهم يسألونه عن جوهر الخلافة، فقالت لي قرب: يا أبا الحسن بس ما كان لنا منك نصيب? يا هذا، كاتبنا الناس كلهم غيرك. قال قلت: أما إن ذاك ليس لتقصير فيما يجب علي من حق أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله ومن حق ولده، ولكن كان في عنقي طوق يحظر علي ذلك، قال: قالت - بارك الله فيك -. قال: ثم خلص الأمر للمعتز،

فكان أول من طلبه للمنادمة علي بن يحيى فشخص إلى سر من رأى، فتلقاه أمير المؤمنين المعتز حين قدم عليه أجمل لقاء وخلع عليه ووصله، وقلده الأسواق والعمارات وما كان يتقلده قبل خلافته، وخص به وغلب عليه حتى تقدم عنده على الناس كلهم. قال: فأخبرني أبي أنه حسب ما وصل إليه من المعتز من صلته ورزقه منذ خدمه إلى أن تصرمت أيامه، فكان مبلغه ثلاثة وثلاثين ألف دينار. وقلده المعتز القصر الكامل فبناه ووصله عند فراغه منه بخمسة آلاف دينار وأقطعه ضيعة. وفي المعتز يقول علي بن يحيى:

بدا لابساً برد النبي محمـد ... بأحسن ما أقبل البدر طالعاً
سمي النبي وابن وارثه الـذي ... به استشفعوا أكرم بذلك شافعا
فلما علا الأعواد قام بخطـبة ... تزيد هدى من كان للحق تابعا
وكل عزيز خشية منه خاشـع ... وأنت تراه خشية الله خاشعـا

فأما المهتدي فإنه حقد عليه أشياء كانت تجري بينه وبينه في مجالس الخلفاء، فانحرف عنه المهتدي لميله إلى المتوكل، فكان المهتدي يقول: لست أدري كيف يسلم مني علي بن يحيى? إني لأهم به فكأني أصرف عنه، ووهب الله له السلامة من المهتدي إلى أن مضى لسبيله، وكانت أيامه قصيرة، ثم أفضى الأمر إلى المعتمد على الله فحل منه محله ممن كان قبله من الخلفاء وقدمه على الناس جميعاً، ووصله وقلده ما كان يتقلد من أعمال الحضرة، وقلده بناء المعشوق فبنى له أكثره، وكان الموفق من محبته وتقديمه وجميل الذكر له في مجلسه إذا ذكر على أفضل ما يكو نولي نعمة، وكان يذكره كثيراً في مجالسه، ويصف أيامه، مع أمير المؤمنين المتوكل وأحاديثه ويحكيها لجلسائه ويعجبهم من ذكائه ومعرفته وفضله. وتوفي في آخر أيام المعتمد سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسامراً، وشعره كثير ومشهور، رأيت العلماء القدماء يكثرون العجب به وليس عندي كذلك، فلذلك أقللت من الإتيان به إلا ما كان في ضمن خبر.

وله من الولد الذكور أحمد بن علي وكنيته أبو عيسى، وأبو القاسم عبد الله، وأبو أحمد يحيى، وأبو عبد الله هارون.

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد

ابن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة بن الحارث بن قريش بن أبي أوفى بن عمرو بن عادية بن حيان بن معاوية بن تيم بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أبو الحسن القفطي يعرف بالقاضي الأكرم، أحد الكتاب المشهورين المبرزين في النظم والنثر، وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً ومنشئاً، وكانت أمه من بادية العرب من قضاعة،وأمها جارية حبشية كانت لأخت أبي عزيز قتادة الحسني أمير مكة، تزوجها أحد بني عمها العلويين وجاءت منه بأولاد، ثم مات عنها فتزوجها رجل من بلي فجاءت منه ببنين وبنات منهم أم القاضي الأكرم - أدام الله علوه -، وكان والده الأشرف خرج يشتري فرساً من تلك البوادي، وقد قاربوا أرض مصر للنجعة فرآها فوقعت منه بموقع فتزوجها ونقلها إلى أهله، وكانت ربما خرجت في الأحيان إلى البادية استرواحاً على ما ألفته ونشأت عليه، ويخرج ابناه معها مدة، قال: وكانت امرأة صالحة مصلية حسنة العبادة فصيحة اللهجة، وكانت إذا أردت سفراً اشتغلت بما يصلح أموري في السفر وهي تبكي وتقول:

أجهز زيداً للرحيل وإننـي ... بتجهيز زيد للرحيل ضنين

وحدثني - أطال الله بقاؤه - قال: كنت أنا صبي قد قدمت من مصر واستصحبت سنوراً أصبهانياً على ما تقتضيه الصبوة،واتفق أن ولدت عدة من الأولاد في دارنا، فنزل سنور ذكر فأكل بعض تلك الجراء فغمني ذلك، وأقسمت أن لا بد لي من قتل الذي أكلها، فصنعت شركاً ونصبته في علية في دارنا وجلست، فإذا بالسنور قد وقع في الحبالة، فصعدت إليه وفي يدي عكاز وفي عزمي هلاكه، وكان لنا جيرة وقد خرب الحائط بيننا وبينهم ونصبوا فيه بارية إلى أن يحضر الصناع، وكان لرب تلك الدار بنتان لم يكن فيما أظن أحسن منهما صورة وجمالاً وشكلاً ودلالاً، وكانت معروفتين بذلك في بلدنا وكانتا بكرين، فلما هممت بقتله إذا قد انكشف جانب البارية فوقعت عيني على ما يبهر المشايخ، فكيف الشبان؟ حسناً وجمالاً، وإذا هما تومئان إلي بالأصابع تسألاني إطلاقه، قال: فأطلقته ونزلت وفي قلبي ما فيه لكوني كنت أول بلوغي والوالدة جالسة في الدار لمرض كان بها. فقالت لي: ما أراك قتلته كما كان عزمك. فقلت لها: ليس هو المطلوب، إنما هو سنور غيره. فقلت: ما أظن الأمر على ذلك،ولكن هل أومئ إليك بالأصابع حتى تركته؟ فقلت: من يومئ إلي؟ ولا أعرف معنى كلامك. فقلت على ذلك: يا بني اسمع مني ما أقول لك:

ثنتان لا أرضى انتهاكهمـا ... عرس الخليل وجارة الجنب

وكان مع هذا البيت بيت آخر أنسيته. قال: فوالله لكأن ماء وقع على نار فأطفأها، فما صعدت بعد ذلك إلى سطح ولا غرفة إلى أن فارقت البلاد، ولقد جاء الصيف فاحتملت حره ولم أصعد إلى سطح في تلك الصيفية، ثم وجدت هذا البيت في أبيات الأحوص بن محمد منها:

قالت وقلت تحرجي وصلي ... حبل امرئ كلف بكم صب

صاحب إذا بعلي فقلت بها: الغدر أمر ليس من طبـي
ثنتان لا أصبو لوصلهـمـا عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلسـت خـائنـه والجار أوصاني به ربـي
ألشوق أقتلـه بـرؤيتـكـم قتل الظما بالبارد العـذب

قال لي: ولدت في أحد ربيعى سنة ثمان وستين وخمسمائة بمدينة فقط من الصعيد الأعلى إحدى الجزائر الخالدات حيث الرض الأربعة وعشرون في أول الإقليم الثاني، وبها قبر قبط بن مصر بن سام بن نوح.
ونشأ بالقاهرة. اجتمعت بخدمته في حلب فوجدته جم الفضل، كثير النبل، عظيم القدر، سمح الكف، طلق الوجه حلو البشاشة، وكنت ألازم منزله ويحضر أهل الفضل وأرباب العلم، فما رأيت أحداً فاتحه في فن من فنون العلم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وجميع فنون العلم على الإطلاق إلا قام به أحسن قيام، وانتظم في وسط عقدهم أحسن انتظام. وله تصانيف أذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى. أنشدني لنفسه بحلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة:

ضدان عندي قصرا همـتـي وجه حبـي ولـسـان وقـاح
إن رمث أمراً خانني ذو الحـيا ومقولي يطمعني في النجـاح
فأنثني في حيرة مـنـهـمـا لي مخلب ماض وما من جناح
شبه جبان فر مـن مـعـرك خوفاً وفي يمناه عضب الكفاح

وأنشدني - أدام الله علوه - في أعور لنفسه:

شيخ لنا يعزى إلى منـذر مستقبح الأخلاق والعـين
من عجب الدهر، فحدث به بفرد عـين ولـسـانـين

ومما أملاه علي - أدام الله علوه - من منثور كلامه من فصل: وأما سؤاله عن سبب التأخر والتجمع من التزامي قعر البيت، وارتضائي بعد السبق بأن أكون السكيت، فلا تنسبني في ذلك إلى تقصير، وكيف? ولساني في اللسن غير ألكن، وبناني في البيان غير قصير، ولقد أعددت للرياسة أسبابها، ولبست لكفاح أهلها جلبابها، وملكت من موادها نصابها، وتسلمت

لآحلاسها، وضاربت أضرابها، وباريتها في ميدان الفضائل، فكنت السابق وكانوا الفسكل، وظننت أني قد حللت من الدولة أمكن مكانها، وأصبحت إنسان عينها وعين إنسانها، وإذا الظنون مخلفة، وشفار عيون الأعداء مرهفة، والفرقة المظنونة بالإنصاف غير منصفة، وصار ما اعتمدته من أسباب التقريب مبعداً، ومن اعتقدته لي مساعداً غدا علي مسعدا، ومن أعددته لمرادي مورداً أصبح لمثالبي مورداُ، وجست مقاصد المراشد فوجدتها بهم مقفلة، ومتى ظهرت فضيلة اعتمدوا فيها تعطيل المشبهة وشبه المعطلة، وإذا ركبت أشهب النهار لنيل مرام ركبوا أدهم الليل لنقض ذلك الإبرام، وإن سمعوا مني قولاً أذاعوا، وإن لم يسمعوا اختلقوا من الكذب ما استطاعوا، وقد صرت كالمقيم وسط أفاع لا يأمن لسعها، وكالمجاور لنار يتقي شرها ويستكفي لذعها. والله المسئول توسيع الأمور إذا ضاقت مسالكها، وهو المرجو لإصلاح قلوب الملوك على مماليكهم،إذ هو رب المملكة ومالكها. وها أنا جاثم جثوم الليث في عرينه، وكامن كمون الكمى في كمينه، وأعظم ما كانت النار لهباً إذا قل دخانها، وأشد ما كانت السفن جرياً إذا سكن سكانها، والجياد تراض ليوم السباق، والسهام تكن في كنائنها لإصابة الأحداق، والسيوف ى تنتضى من الأغماد إلا ساعة الجلاد، واللآلئ لا تظهر من الأسفاط إلا للتعلق على الأجياد. وبينما أنا كالنهار الماتع طاب براده، إذ تراني كالسيف القاطع خشن حداه، ولكل أقوام أقوال، ولكل مجال أبطال نزال، وسيكون نظري - بمشيئة الله - الدائم ونظرهم لمحة، وريحي في هذه الدولة المنصورة عادية، وريحهم فيها نفحة، وها أنا مقيم تحت كنف إنعامها، راج وابل إكرامها من هاطل غمامها، منتظر لعدوها أنكأ سهامها من وبيل انتقامها، وأملى علي قال: كتبت إلى أبي القايم بن أبي الحسن شيث - وكان قد انصرف عن الملك الظاهر ثم رجع إليه بأمر من الملك الظاهر -: مقدم سعد مؤذن بسمو ومجد للمجلس الجماني لا زال غاديا في السعادة ورائحاً، منوحاً من الله بالنعم و مانحاً، ميسراً له أرجح الأعمال كما لم يزل على الأماثل راجحاً، موضحاً له

قصد السبيل كوجهه الذي ما برح مسفراً واضحاً، قد رد الله بأوبته ما نزح من السرور، وأعاد بعودته الجبر إلى القلب المكسور، ولأم بإلمامه صدوعاً في الصدور، والواجب التفاؤل بالعود إذ العود أحمد، بل يقال: انقلب إلى أهله مسروراً، وتوطن من النعمة الظاهرية جنة وحريراً،ودعا عدوه لعوده ثبوراً، وصلى من نار حسده سعيراً، أسعد الله مصادره وموارده، ووفر مكارمه ومحامده،وأيد ساعده ومساعده. وأنشدني لنفسه - أدام الله علوه - من قصيدة قالها في الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب مطلعها:

لا مدح إلا لملـيك الـزمـان	**من المني في بابـه والأمـان**
غياث دين اللـه فـي أرضـه	**إن أخلف البرق وضن العنان**
في كفه ملـحـمة لـلـنـدى	**مثل التي تعهد يوم الطـعـان**
فالعسر مصروع بسـاحـاتـه	**واليسر سام في ظهور الرعان**
وراحـتـاه راحة لـلـورى	**على كريم الخلق مخلوقتـان**
فكفه اليمنى لبسط الـغـنـى	**وكفه اليسرى لقبض العنـان**

ومنها:

تعرب في الهيجاء أسـيافـه	**عن حركات مثل لفظ اللسان**
كسر وفتح في بلاد العـدى	**وبعده ضم لمـال مـهـان**

ومنها في صفة ولديه:

بكران بل بدران ما يكسفـان	**روحان للملك وريحانـتـان**
لؤلؤتا بحر وغن شئت قـل	**ياقوتتا نحر وعقـدا لـبـان**
فرعان في دوحة عز سمت	**غيثان بل بحران بل رحمتان**

سيملكان الأرض حتى يرى لي منهما حران والرقتـان

ومنها:

فأسلم على الدهر شديد القوى ذا مرة ما شد كف بـنـان
واستوطن الشهباء في عـزة وأخسس بغمدان وقعبى لبان

وأنشدني أدان الله علوه لنفسه من قصيدة:

إذا أوجفت منك الخـيول لـغـارة فلا مانع إلا الذي منع الـعـهـد
نزلت بأنطـاكـية غـير حـافـل بقلة جند إذ جميع الورى جـنـد
فكيف أهيف حازته هيف رماحكم وكم ناهد أودى بها فرس نـهـد
لئن حل فيها ثعلب الـغـدر لاون فسحقاً له قد جاءه الأسـد الـورد
وقد كان اغتر اللعين بـلـيـنـكـم وأعظم نار حيث لا لهـب يبـدو
جنى النحل مغتراً وفي النحـل آية فطوراً له سم وطوراً له شـهـد
تمدك أجناد المـلـوك تـقـربـاً وجند السخين العين جزر ولامـد
تهنا بها بكراً خطبت مـلاكـهـا فأعطت يد المخطوب وانتظم العقد
فجيشك مهر والبنـود حـمـولـه وأسهمكم تبر وسمر القنـا نـقـد

وله من التصانيف كتاب الضاد والظاء وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط، كتاب الدر الثمين في أخباره المتيمين،كتاب من ألوت الأيام إليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعته، كتاب أخبار المصنفين وما صنفوه، كتاب أخبار النحويين كبي، كتاب تاريخ مصر من ابتدائها إلى ملك صلاح الدين إياها في ست مجلدات، كتاب تاريخ المغرب ومن تولاها من بني تومرت، كتاب تاريخ اليمن منذ اختطت إلى الآن، كتاب

المجلى في استيعاب وجوه كلا، كتاب الإصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح للجوهري،كتاب الكلام على الموطئ لم يتم إلى الآن، كتاب الكلام على الصحيح للبخاري لم يتم، تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه إلى حين انفصال الأمر عنهم، كتاب أخبار السلجوقية منذ ابتداء أمرهم إلى نهايته، كتاب الإيناس في أخبار آل مرداس، كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم، كتاب مشيخة زيد بن الحسن الكندي، كتاب نهزة الخاطر ونزهة الناظر في أحسن ما نقل من على ظهور الكتب.

وكان الأكرم القاضي المذكور جماعة للكتب حريصاً عليها جداً، لم أر مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتماماً منه بها، ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد، وكان مقيماً بحلب، وذلك أنه نشأ بمصر وأخذ بها من كل علم بنصيب، ولي والده القاضي الأشرف النظر ببيت المقدس من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بن أيوب، وصحبه القاضي الأكرم وذلك في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وأقام بها مع والده مدة فآنس ولاة المقدس الأكرم - أدام الله عزه - شرف نفس وعلو همة، فأحبوه واشتملوا عليه، وكانوا يسألونه أن يتسم بخدمة أحد منهم، فلم يكن يفعل ذلك مستقلاً، وإنما كان يسأم العمل ويعتمد على رأيه في تدبير الأحوال، وكان لا يدخل معهم إلا فيما لا يقوم غيره فيه مقامه، واتفق ما اتفق بين الملك العادل أبي بكر بن أيوب وبين أخيه الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب - والأكرم حينئذ ببيت المقدس - فاقتضت الحال - لاتسامه بخدمه في حيز الملك - أن خرج من القدس فيمن خرج منها من العساكر في سنة ثمان وستمائة، وصحب فارس الدين ميموناً القصري والي القدس ونابلس،فالتحقا بالملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب بحلب في قصة يطول شرحها، فلما حصل بحلب كان مع ميمون القصري على سبيل الصداقة والمودة لا على سبيل الخدمة والكتابة، واتفق أن كاتب ميمون ووزيره قد مات، فألزمه ميمون خدمته والاتسام بكتابته،ففعل ذلك على مضض واستحياء،

ودبر أمره أحسن تدبير، وساس جنده أحسن سياسة وتدبير، وفزع بال ميمون من كل ما يشغل به بال الأمراء، وأقطع الأجناد إقطاعات رضوا بها وانصرفوا شاكرين له، ولم يعرف منذ تولي أمره إلى أن مات ميمون جندي اشتكى أو تألم، وكان وجيهاً عند ميمون المذكور يحترمه ويعظم شأنه، ويتبرك بآرائه إلى أن مات ميمون في ليلة صبيحتها ثالث عشر رمضان سنة عشر وستمائة، فأقر الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين خزانته عليه وهو ملازم لبيته متشاغل بالعلم وتصنيف الكتب إلى أن احتاج ديوانه إليه، فعول في إصلاحه عليه،وهو مع ذلك مجتنب غير راض، وحدثني أدام الله عزه قال: قال حدثني والدي قال: قدمت مع والدي إلى مصر أول قدمة ولم نستصحب دواب، لأننا انحدرنا في السفن وقلت لأبي: نأخذ معنا دواب؟ فقال: يعسر أمرها علينا فدعنا نمض بالراحة في المركب، وإذ وصلنا خرجنا نمشي إلى أن جاء بي إلى سوق وردان، وهناك تلك الحمير التي هي أحسن من البغال، فقال لي والدي: أركب أيها شئت لنمضي إلى القاهرة، فامتنعت وقلت: والله لا ركبت حماراً قط. فقال: لا بد من المضي إلى القاهرة فما تصنع؟ قلت لأبي: نؤخر المضي اليوم حتى نشتري مركوباً إما فرساً وإما بغلة أركبها أنا واصنع أنت بنفسك ما تشاء، فعذلني فلم أرعو فاجتاز بنا رجل له هيئة وشارة فتقدم والدي إليه وقال له: يا أخي، تعرف القاضي الأشرف أبا الحجاج يوسف بن القاضي الأمجد أبي إسحاق إبراهيم الشيباني القفطي؟ فقال: لا أعرفه. قال: امض في أمان الله. ثم مر به آخر فسأله مثل ذلك السؤال حتى سأل جماعة فلم يكن منهم من يعرفه، فالتفت إلي وقال لي: ويلك، إذا كنت في مدينة لا يعرفك بها أحد فما تصنع بهذا التخرق والترتيب في المركوب؟ اركب ودع عنك الكبرياء والعظمة التي لا تجدي ههنا شيئاً. قال: فركبت حينئذ ومضينا إلى القاهرة، وكان لهذا السبب متفقد الخيول المشهورة بالجودة وكثرة الثمن حتى لقد حدثني: أنه سمع ابن دحية الحافظ وقد سئل عن القاضي الأشرف

القفطي فقال: أليس هو صاحب الخيول المسومة والعبيد الروقة؟ فما أولاه إذن بقول عامر بن الطفيل:

إني وإن كنت ابن سـيد عـامـر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامـر عـن وراثة أبى الله أن أسمـو بـأم ولا أب
ولكنني أحمي حماهـا وأتـقـي أذاها وأرمي من رماها بمنكـب

فصل: قال الأكرم من إنشائي من جملة كتاب أنشأت عن المقر الأشرف الملكي الظاهري عند رحيل عسكر الفرنج عن حصن الخوابي: ولما وردت الراية الباطنية صدرت في نجدتهم العساكر الظاهرية تحت الألوية الأمامية الناصرية وسار في المقدمة ألف فارس من أمجاد الأنجاد وأمثال الأطواد وهم الذين لا يثنون عن الطعن عناناً، ولا يسألون عند الانتداب إلى الكريهة عما قيل برهاناً، ولما التقى الجمعان وتراءى الفريقان، قمع حزب الإنجيل حزب القرآن، وخفض صوت الناقوس صوت الأذان، وفل جيش ابن يوسف جمع بني إسحاق، وعلا علم الأحمر على بني الأصفر أهل الشقاق، وحركت الأهوية ألسن الألوية بأصوات النجح فقالت بلسان الحال: تعال على خير العمل من القتال، فقد جاء نصر الله والفتح، وما أودت من المناجزة قوة جانب ولا شدة محاجزة، وإنما منع جبل وعر ضاق مسلكه، وتعذر مجاله على الفرسان ومعتركه، وامتنعت منه أسباب النزال،)ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال(.

فقلعت القلعة من خناقها، وأفلتت من يد القابض بساقها، واشتغل العدو عنها بإعمال رأيه في الخلاص، وذلك لما تحققه من ترادف العساكر المنصورة ولات حين مناص، ولما اجتمعوا للمشاورة تناقضت منهم الآراء عند المحاورة، وأوجب ذلك اختلافاً من جميعهم قضى بافتراق جموعهم، وباتوا ليلة الاثنين ولهم ضوضاء، ثم أصبحوا وقد خلا منهم الفضاء، لم يلف منهم أحد، ولا وجد لمنزلهم إلا النؤي والوتد، وذلك لرأي أجمعوا عليه لما تحققوا أن لا ملجأ من الهرب إلا

إليه، وللوقت ندب مولانا السلطان خلد الله ملكه جماعة من الصناع لإصلاح مختلها، ورفع ما فرق من تلها، وحمل إليها ما عدمته من الآلة عند القتال. وتقدم إلى رئيس الإسماعيلية بحمل ما يحتاج إليه من الذخيرة والمال، وقد شرع والشروع ملزم بالإكمال.
حدثني الصاحب الوزير الأكرم أدام الله تمكينه قال: خرجت يوم الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة ثماني عشرة وستمائة إلى طاهر مدينة حلب على سبيل التيسير، فرأيت على جانب قويق عدة مشايخ بيض اللحى، وقد سكروا من شرب الخمر وهم عراة يصفقون ويرقصون على صورة منكرة بشعة فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم، ورجعت مغموماً بذلك وبت تلك الليلة، فلما أصبحت وركبت للطلوع إلى القلعة استقبلني رجل صعلوك فقال: انظر إلى حالي نظر الله إليك يوم ينظر إليه المتقون، فقلت له: ما خبرك? قال: أنا رجل صعلوك وكان لي دابة أسترزق عليها للعائلة فاتهمني الوالي بالخيول بسرقة ملح، فأخذ دابتي ثم طالبني بجباية فقلت: خذ الدابة. فقال: قد أخذتها وأريد جباية أخرى. فقلت له: أبشر بما يسرك وطلعت إلى صاحب الأمر يومئذ، وهو الأمير الكبير أتابك طغرل الظاهري وقلت: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:)ثلاثة أشياء مباحة، الناس مشتركون فيها: الكلأ، والماء، والملح(. وقد جرى كيت وكيت ولا يليق بمثلك، وأنت عامة وقتك جالس على مصلاك مستقبل القبلة والسبحة في يدك أن تكون مثل هذه الأشياء في بلدك. فقال: اكتب الساعة إلى جميع النواحي برفع الجبايات ومحو اسمها أصلاً، وأمر الولاة أن يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله،ومن وجب عليه حد من الحدود الشرعية يقام فيه على الفور، ولا يلتمس منه شيء آخر، ومر الساعة بإراقة كل خمر في المدينة، ورفع ضمانها، واكتب إلى جميع النواحي التي تحت حكمي بذلك، وأوعد من يخالف ذلك عقوبتنا في الدنيا عاجلاً، وعقوبة الخالق في الآخرة آجلاً، فخرجت وجلست في الديوان، وكتبت بيدي ولم أستعن بأحد من الكتاب في شيء من ذلك ثلاثة عشر كتاباً إلى ولاة الأطراف ثم أنشد:

ولا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

وكان محصوله من ضمان ما أطلق ما مقداره مائتا ألف درهم في السنة، وإن أضيف إليه ما يستقبل في السنة الآتية من رخص الكروم وتعطل ضماناتها وقلة دخلها بهذا السبب - كان ذلك - ألف ألف درهم أو ما يقاربها، وكان والده القاضي الأشرف أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم من أهل الفضل البارع والبلاغة المشهورة، وكان ينوب بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عن القاضي الفاضل في جماعة من الكتاب، وكان حسن الخط على طريقة ابن مقلة، فاتفق أن طال مقامه بالشام في صحبة السلطان وأراد الرجوع إلى مصر طلباً للراحة ونظراً في مصالحه، فطلب من السلطان إذناً فقال: يحتاج في ذلك إلى إذن صاحبك، فكتب العماد إلى القاضي: يلتمس غيره ليؤذن له فقد طالت غيبته عن أهله، فكتب القاضي في الجواب كتاباً يقول فيه: وأما التماس العوض عن الأشرف القفطي فكيف لي بغيره؟ وهو ذو لسان صهصلق منطيق، وخاطر ينفق عن سعة في كل مضيق. وكتب إلى القاضي الفاضل رقعة وضمنها البيت المشهور:

نميل إلى جوانبه كأنـا إذا ملنا نميل على أبينا

فكتب القاضي الجواب وضمنه:

فديتك من مائل كالغصون إذا ملن أدنين مني الثمارا

وتزهد والده وترك العمل وأقام باليمن إلى أن مات بها في رجب سنة أربع وعشرين وستمائة.

وحدثني أدام الله علوه قال: حججت في موسم سنة ثمان وستمائة، وكان والدي في صحبتي فصادفت بمكة جماعة من أهل بلدنا، وكنت بعيد العهد بلقاء أحد منهم، فرآني رجل فالتحق بي كما جرت العادة، ثم عاد إلى من في صحبته من بلدنا فأخبرهم بنا فجاء وهم إلى منزلنا فقضوا حقنا بالسلام والسؤال والحرمة، ثم انصرفوا إلى رحالهم فجاء كل واحد منهم بما حضره لم يحتفلوا له، وكان فيما جاءونا به ظرف كبير مملوء عسلاً، وآخر سمناً على جمل وهو وقره، فألقاه في خيمتنا فأمرت الغلمان أن يعلموا منه حيساً فيكثروا على عادة تلك البلاد، وأكلنا وأكثرنا زيادة على ما جرت به عادتنا، ثم طفنا بالبيت وعدنا إلى رحالنا ونمت فرأيت في النوم كأني في الحرم أطوف، وإذا رجل شديد الأدمة مشوه الخلقة، فأخذ بيدي وأخرجني من الحرم من باب إبراهيم فإذا به قد وقفني على الظرفين بعينهما لا أرتاب بهما فقال لي: أتعرف هذين؟ فقلت: نعم، هذان ظرفان جارنا بهما رجل على سبيل الهدية، أحدهما سمن والآخر عسل، فقال

لي: ليس الأمر كذلك، ثم حط يده على بطنهما وعصر فخرج من فمهما نار أحسست بلفحها في وجهي، وجعلت أمسح فمي من شدة حرهما وانزعجت من هول ما رأيت، وقمت من فراشي خائفاً فما استطعت النوم إلى الغداة، واجتمعت بمهديهما وكان يعرف بابن الشجاع فقلت له: أخبرني عن هذين الطرفين ما خبرهما؟ فقال: اشتريتهما وجئت بهما، فقلت: يا هذا، هل فيهما شبهة؟ فتحلف أنهما من خالص ماله، فأخبرته بالحال فبكى حينئذ، ومد يده فأخذ بيدي وعاهدني أن يخرج من عهدته وقال: والله ما أعرف أن في مالي شبهة، إلا أن لي أختين ما أنصفتهما في تركة أبيهما، وأنا أعاهد الله أنني أرجع من وجهي هذا وأعطيهما حتى أرضيهما.

قال الصاحب - أدام الله علوه: فعلمت أنها لي موعظة، فعاهدت الله ألا آكل بعدها من طعام لا أعرف من أين وجهه؟ فكان لا يأكل لأحد طعاماً ويقول: الناس لا يعرفون بواطن الأمور ويظنونني أفعل ذلك كبراً، ومن أين لي بما يقوم بعذري عندهم؟ ثم كنت بعد ذلك في حضرته بمنزله المعمور وقد عاد من القلعة بحلب فقال لي: جرت اليوم ظريفة، فقلت له: هات خبرها - أدام الله إمتاعنا بك -، فما زلت تأتي بالظرائف والطرف.

فقال: حضرت اليوم في مجلس الملك الرحيم أتابك طغرل الظاهري وحضرت المائدة وفيها طعام الملوك: شواء وشرائح وسنبوسك وحلاوات وغيرها كما جرت العادة، فتأملته فنفرت نفسي منه ولم تقبله مع كوني قد قاربت الظهر ولم أتغد فلم أنبسط ولا مددت يدي إليه. فقال لي: مالك لا تأكل وكان قد عرف عادتي؟ فقلت له: إن نفسي لا تقبل هذا الطعام ولا تشتهيه. فقال: لعلك شبعان، فقلت: لا والله، إلا أنني أجد في نفسي نفوراً منه، فأشار إلى غلام فدخل داره وجاء بمائدة عليها عدة غضائر من الدجاج فلم تقبل نفسي إلا دجاجة واحدة معمولة تحت رمان فمددت يدي إليها وتناولت منها.

قال: فرأيت أتابك وهو يتعجب فقلت له: ما الخبر؟ فقال: اعلم أنه ليس في هذا الطعام شيء أعلم من

أين وجهه وهو من عمل منزلي غير هذه الدجاجة؟ وأما الباقي فجاءنا من جهة ما نفسي بها طيبة، وتشاركت أنا وهو في تلك الدجاجة مع بغضي لحب الرمان، وكان أتابك لا يأكل إلا من مال الجوالي فقط، فجعلت أعجب من ذلك. فقال أدام الله علوه: اعلم أنني لا أحسب هذا كرامة لي ولكنني أعده نعمة من الله في حقي، فإن امتناعي لم يكن عن شيء كرهته ولا ريب اطلعت عليه، ولكن كان انقباضاً ونفرة لا أعرف سببها، ولا الإبانة على معناها.

كان صفي الدين الأسود عند نزول الملك الأشرف بحلب قد عرض كتاباً له يعرف بالتذكرة لابن مسيلمة - وكان معروفاً بالبغاء - أحد كتاب مصر يشتمل على قوانين الكتابة وآئين الدولة العلوية، وأخبار ملوك مصر المتقدمين في اثني عشر مجلداً، ودفع له فيه ما سمح ببيعه، وعرض على الصاحب الكبير جمال الدين الأكرم أدام الله علاه وكبت أعداءه، فأراد شراءه واتفق رحيل الملك الأشرف إلى الجزيرة فأرسل إليه ثمنه وزيادة في مثله وافرة، فلما علم صفي الدين أن المشتري هو الوزير أدام الله علوه ضن بالكتاب واغتبط، واحتج وخلط، وزعم أنه قدمه للخزانة الأشرفية، فكتب الصاحب الوزير إلى أبي علي القيلوي - وكان وسيطه في شرا الكتاب المذكور - ما هذه نسخته: العز لله وحده

أتاني كتاب من حبيب فشاقني إليه وزاد القلب وجداً على وجد
وكدت لما أضمرت من لاعج الهوى ووجداً على مافات أقضى من الوجد

وقف على الكتاب الكريم الصادر عن المجلس السامي القضائي العزي - لا زالت سيادته تتجدد، وسعادته تتأكد، وفواضله تتردد، وفضائله عن مجلسه تصدر، وفي المجالس تورد - وعلمت إشارته في التذكرة المسيلمية والنية في حملها إلى الخزانة الأشرفية، ولقد زفت إلى أجل خاطب، ورقيت بعد انحطاطها إلى أسمى المراتب، فإنها وإن كانت بكر فكر أكابر، فما هي إلا بنت عدة آباء، ولدت على فراش عواهر، كان عليه البغاء في العالمين علامة، أعني ابن مسيلمة ذا

الداء، وأسأل الله السلامة، فجاءت ذات غرام لا يشفي قطمها إلا السودان، وأردت أن أكون ناكحها الثاني لاتفاق الألوان، وأبى الله لها إلا أن تهدى إلى المقر الأرفع، وأن يقع الابتناء بالبغي من الهمام الأروع، ولست يائساً على عدمها، ولا راجياً شفاء كلمي بكلمها:

تحمل أهلها عني فبـانـوا — على آثار من ذهب العفاء

وكأني بساميه عرض هذا الكتاب على من لا أسميه، فقرن حاجبيه، ولوى شفتيه، ولمس عثنونه تعجباً، وأمال عطفيه تظرفاً وقال: أذكرني سجع الكهان، وأسمعني قعقعة صعصعة بن صوحان، والله المستعان على ما يصفون، وإنما هي نفثة مصدور، صدر نافثها بصفقة المغبون، وأما سؤاله عما حصل من الكتب في غيبته،

فما هي إلا البحر جاد بدره — ومكنني من لجه وسواحله

حصل من نفائسها أعلاق نفيسة، وأضحت على بغض المزاحم عليها موقوفة حبيسة، لو امتدت يد إليها لشلت، ولوسعت إليها قدم لما أقلت جثتها ولا استقلت، لا ابن العديم يعدمها، ولا القيلوي يقللها، ولا الصفي يصطفيها، ولا المجد يختزلها.

خلا لك الجو فبيضي واصفري

وتعداد المجدد منها يقصر عنه الكتاب، ويقصر دونه الخطاب، والله الموفق.

أبو علي المنطقي

لم أظفر باسمه وهو مجيد. قال الخالع: هو من أهل البصرة وتنقل عنها في البلاد، ومدح عضد الدولة وابن عباد، وانقطع مدة من الزمان إلى نصر بن هارون، ثم إلى أبي القاسم العلاء بن الحسن الوزير، وكان جيد الطبقة في الشعر والأدب عالماً بالمنطق قوي الرتبة فيه، وجمع ديوانه وكان نحو ألفي بيت، ومولده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات بشيراز بعد سنة تسعين وثلاثمائة، وكان ضعيف الحال ضيق الرزق عارفاً - وجدت على حاشية الأصل ما هذا صورته: إنا لله وإنا إليه راجعون -. ما يحتاج مستدل على أن الأرزاق ليست بالاستحقاق بأقوى من هذا الرجل، فإنه لو وفي حقه لكان أعظم قدراً من المتنبي، لأنه ليس بدونه في الشعر جودة وصحة معنى ومتانة لفظ وحلاوة استعارة وسلاسة كلام، وكان مع ذلك مزاحاً طيب العشرة حاد النادرة، وأصيب بعينه في آخر عمره، وله في ذلك أشعار كثيرة. وهذا القدر حكاه الخالع من خبره ولم يعرف غير ذلك. ومن شعره:

يا ريم وجدي فيك لـيس يريم — بين الضلوع وإن رحلت مقيم
لا تحسبي قلبي كربعك خالياً — فيه وإن عفت الرسوم رسوم
تبلى المنزل والهوى متجـدد — وتبيد خيمات ويبقى الـخـيم

ومن شعره لما أصيب ببصره:

ما للهموم إذا ما — علي لم تفض من

هيمـهـا وردت كأنما وافق ... ورد إلى صدر لدى حماي فقد ألقى
الأعـشـاب رائدهـا ... عصا السفر
إن يجرح الدهر مني غير جارحة ... ففي البصائر ما يغني عن البصر

وله في الخمر:

قهوة مثل رقراق السـراب غـدا ... حبب المزاج عليها جيب مزرور
تختال إن بث فيها الماء لـؤلـؤه ... ما بين عقدين منظوم ومنـثـور
للتها مثل سل الفجـر صـارمـه ... وأحجم الليل في أثواب مـوتـور
كأنها إذ بدت والكأس تحجـبـهـا ... روح من النار في جسم من النور
إذا تعاطيت محزوناً أبـارقـهـا ... لم يعدني كل مفروح ومسـرور
أمسي غنياً وقد أصبحت مفتقـراً ... كأنني الملك بين النـاي والـزير

وله في نصر بن هارون:

ينال علاه ما السها عنه عاجز ... ويسقي نداه من تجاوزه القطر

ويصنع في الأعداء خوف انتقـامـه ... من القتل ما لا تصنع البيض والسمر
لأعطيت حتى استنزر الغيث فعلـه ... وآمنت حتى قيل لم يخلق الـذعـر

وله فيه أيضاً:

به تخضر أغصان الأمـانـي ... ويجبر عنده الأمل الكـسـير
وتبسم نائبات الـدهـر عـنـه ... كما ابتسمت عن الشنب الثغور
لقد سهلت بـك الأيام حـتـى ... لقال الناس لم تكن الـوعـور
وكيف أخاف دهراً؟ أنت بيني ... وبين صروفه أبـداً سـفـير

وله من قصيدة في ابن معروف:

في البرق لي شاغل عن لمعة البرق بدا وكان متى مـا يبـدـ لـي يشـق

منفراً سرب نومي عن مـراتـعـه كأنما اشتق مـعـنـاه مـن الأرق

أخو ثنايا التي بالقلب مذ ظـعـنـت أضعاف ما بوشاحيها من الـقـلـق

ما كان يسرق من حرز الجفون كرى لو أنه من لماها غير مـسـتـرق

وله:

نوار وهي نوار من مساعفتـي وهند وهي ببيض الهند تعتصم

تربان إن تك من جدواهما تربت يد المحب فوجدان الهوى عدم

غض المحيا إذا لاحظت وجنته كادت لحاظك في ديباجها تسم

وله يعاتب:

صافيت فضلك لا ما أنت باذلـه وعاشق الفضل يغرى كلما عذلا

إني أعيذك من قولي لسـائلـه: لقد حدوت ولكن لم أجد جمـلاً

وقال في صمصام الدولة:

لا غضني الدهر الخئون فإنه قد كان رقاك صلاً أرقمـا

أنتم بحار جاريات بالـنـدى لكنها في الروع جارية دما

وله:

ليث أبو شبلين لم يسلمهـمـا كرم الجدود ولا سمو جدود

للمجد سر لم يضيع فيهـمـا والراح سر في جنى العنقود

وله:

أكفكم تعطي ويمنعـنـا الـحـيا وأقلامكم تمضي وتنبو الصوارم

وإن أبا العباس إن يك لـلـعـلا جناحاً فأنتم للجـنـاح الـقـوادم

مضى وبقيتـم أبـحـراً وأهـلة **وزهر الربا يبقى وتمضي الغمائم**

وله:

قولي يقصر عن فعالك **تقصير جدك عن كمالك**

والحمد ينبت كـلـمـا **هطلت سماء من نوالك**

وله:

كأن دبيبها في كـل عـضـو **دبيب النوم في أجفـان سـار**

صدعت بها رداء الهم عـنـي **كما صدع الدجى وضح النهار**

وله من قصيدة في عضد الدولة يذكر الصدق:

ما زلت تنصف في قضاياك العلا **قل لي: فما بال الضحى يتظلم؟**

هديت رونقه إلى جنح الـدجـى **فاعتن أشهب وهو طرف أدهـم**

حتى كأن الليل صبح مـشـرق **وكأن ضوء الصبح ليل مظـلـم**

هي ليلة لبست رضاك فأشرقـت **من بعد ما كانت بسخطك تظلـم**

ما كان في ظن امرئ من قبلهـا **أن الملوك على الليالي تحـكـم**

وله:

أنام جفون الحقد والحقد ساهـر **وأيقظ طرف المجد والمجد نائم**

إذا أشكلت يوماً لغات انتقامـه **على معشر فالمرهفات تراجم**

ومن شاجر الأيام عن مأثراتهـا **فأمضى لسانيه القنا والصوارم**

وله من قصيدة:

وقفنا بها والشوق يفرى قلوبنـا **لواعجه والصبر غير مطـاوع**

سقيت رجوع الظاعنين فإنـنـا **نجلك عن سقيا الغمام الهوامـع**

فجعنا بأبكار المنى **ربوعك أبكار**

يوم خاطبـت الخطوب الفواجع

ومنها:

وخيل إذا كظ الطراد أراحـهـا أصابت بحر الطعن برد الشرائع
تكاد ترى بالسمع حتى كأنـمـا نواظرها مخلوقة في المسامـع
إذا ما دجا ليل الكريهة أطلعـت نجوم قناً يغربن بين الأضـالـع

وله:

على عجـل ألـم الـخـيال فإن كراه بعدكـم مـحـال
فبات معانقاً والـجـيد وهـم ومرتشفاً وأحلى الـريق آل
لدى ليل كان النـجـم فـيه على خد الظلام الجون خال
يضام الرمح ليس له مـدار ويكبو الطرف ليس له مجال

طبعت على الوفاء المحض قدماً كما طبعت على القطع النصال

ومنها:

توسمت الوابل فيه مـجـداً فقالت: أول البـدر هـلال
وأطرب ما يكون إلى العطايا إذا غني فأسمعه الـسـؤال
مصاحب همة خفت عليهـا من الأيام أعـبـاء ثـقـال
كرمت فلو سألناك المساعي وهبت وغيرها تهب الرجال
وأكرم من قراك فتى علـيه بنو الدنيا وأمـهـم عـيال

وقال في الوزير ابن صالحان:

على الطيف أن يغشى العميد المتيما وليس عليه رد نـوم تـصـرمـا
خيال سرى يبغي بلبس قميص الليل

خيالاً ومغرم يمم مغرما
دنا والظلام الجون غض شبابه فأهدى إليه الشيب لما تبسما
أتلك اللآلئ من ثناياه ألفت عليه عقوداً أم تقلد أنجما?
أما والحما إن الكرى لسميه على مقلتي مذ أخلقت جدة الحما
لأشكل حتى ما يعود بنو الهوى معالمه الأنضاء إلا توهما
وليل أكلنا العيس تحت رواقه بأيدي سرى تثني الرواسم أرسما
بهيم نضونا برده وهو مخلق وكنا لبسناه قشيباً مسهما
هداها إلى مغنى الوزير نسيمه ومن شرف الأخلاق أن نتنسما
يصوب على العافين مزن بنانه فيكبت حساد أو ينبت أنعما

وله:

غي الهوى للصب غاية رشده فذريه من حل الملام وعقده
قربت مراكب وعظه ولجاجه في الحب ينتج قربه من بعده
والليل تكحل مقلتاه بإثمد والأفق يزهر دره في عقده
فكأن زنجياً تبسم ثغره إسفار ذاك اللون في مربده
تعب الفتى جسر إلى راحاته يفضي ونهضة جده في جده
وإذا ابن عزم لم يقم متجرداً للحادثات فصارم في غمده
فالسيف سمي في النوائب عدة لمضائه فيهن لا لفرنده

ومن المدح:

نثني عليه وإن تكرم غيره فتراه مشكوراً بما لم يسده

علماً بأن بني السماح تعلموا — **منه فكل صنيعة من عنده**

وله في عضد الدولة:

أربع الصبا غالتك بعدي يد الصبـا — **وصعد طرف البين فيك وصوبا??**

لئن رمقت عين النوى حور عينـه — **فبن لقد غادرن قلـبـاً مـعـذبـا**

تأودن قضبـانـاً ولـحـن أهـلةً — **وغازلن غزلاناً ولاحظن ربـربـا**

ومنها:

رددت شباب الملك نضراً ولم يزل — **بغيرك مغبر المفـارق أشـيـبـا**

فلو كانت الأيام قبلـك رحـبـت — **بشخص لقالت إذ تراءيت مرحبا**

وله قصيدة إلى أبي بكر العلاف يتشوقه:

كأن البين ترب الموت لـكـن — **يواري في الضنا لا في الثياب**

ولولا أن فرط الـشـوق واش — **بحبك لاستزدتك ضعف ما بي**

جمعت غرائب الآداب حتـى — **إذا قرنت إلى النعم الرغـاب**

ظللت منادياً فـي كـل أفـق — **بصوت البذل حي على انتهاب**

وله من قصيدة في العلاء بن الحسن الوزير:

أعاطي كئوس اللهو كـل غـريرة — **إذا ما انثنت قدت فؤادك بـالـقـد**

تلاحظ عن سحر وتسجر عن دجى — **وتسفر عن صبح وتبسم عن عقـد**

إذا نثرت أيدي الصبا در لفظـهـا — **نظمن على الأحشاء عقداً من الوجد**

كما نظمت كفا أبي القاسم الـعـلا — **نظام لآلي السمط بالنثر لـلـرفـد**

إذا اتصلت أقلامـه بـظـبـاتـه — **تقطع ما بين الطوائل والـحـقـد**

فلا يهنأ الأعـداء ن أن مـكـانـه — **خفي فقد تخفى الشرارة في الزند**

وله:

نعم لو أن الناس ورق حمـائم لغدت لهم بدلاً من الأطـواق
ومواهب تمضي ويبقى ذكرها سمة على وجه الزمان الباقي

وله:

أراعك صدق الطيف أم كذب الحلم وكم من خيال وشك إلمامه لمـم
سرى والدجا قد حال صبغ قميصه وفي ذيله نار من الصبح تضطرم
كأن نهوض الفجر في أخـرياتـه بداء بياض الشيب في أسود اللمم
أمين على سر المعالي وسـيفـه على مهج الأعداء في الروع متهم

وله من قصيدة في الدلجي:

لأصبرن على ما سامني زمنـي صبر الكريم على الإقلال إكثار
مدحت قوماً فإن حاض اللسان بهم فسوف يعقب ذاك الحيض أطبار
إذا المعمر ترب المجد ألثمـنـي ركني يد ثمد ما تـسـديه تـيار
يد هي الغيث أو فيها مواطـنـه فكل ما صافحته فـهـو نـوار
هناك أخطب والعليا منـابـرهـا منصوبة وجبين الدهـر حـوار

وله:

وأبناء حاجات أدارت عـلـيهـم يد السير كأس الأين والليل دامس
يميلون فوق العيس حتى كأنهـم شروب تساقى والرحال المجالس
أصاخوا وقد غنيتهم باسم مـاجـد لأقلامه تعنو الرياح المداعـس
ولما بلغناه تـهـلـل عـارض سقى صوبه الدنيا ومثواه فارس

وقال في الوزير ابن صالحان:

هو البرق إلا زفرة تـتـضـرم وعبرة مشتاق تسح وتـسـجـم
تبسم حتى كاد يبـكـي وربـمـا تراءى فأبكى البارق المبتـسـم
ولما ألم الطـيـف شـكـك أينـا لدقة شخصينا الخيال المسـلـم?
مزجت كئوس الريق منه بأدمعي فبت أسقى قهوة مـزجـهـا دم
فليت فؤادي ذاب في جفن مزنة بها رويت دور ظمـاء وأرسـم
وخرق رحيب الباع لو نيط طوله بعروة عمر لم تكد تـتـصـرم
رميت فما أشويت ثغرة نـحـره وما كل ما ترمي به العيس يسهم
بلغنا بها مغـنـاه وهـب أهـلة فلاحت لنا أخلاقه وهي أنـجـم

وله يمدح:

يصيخ إلى الليل حتـى كـأنـمـا سرى إبلي في مسمعـيه سـرار
وكم خامل أمطـاه حـارك رتـبة حراك ويعلو الترب حـين يثـار
فأليت أن تقرر عـيون ركـائبـي ولا غرو غايات السـيول قـرار
مددت إلى طعن الكماة عـزائمـاً طوال العوالي بينهـن قـصـار
فما كرمت كرمان حتى افتككتهـا ولا أصحرت حتى ارتجتك صحار
إذا صد وجد البحر عنها تيقـنـت بأنـك بـدر فـي يديه بـحـار

وله:

جذل بما يعطيهم فكأنـمـا أخذ المؤمل من نداه عطاء
عفو تسيل به الشعاب كأنما فيه الذنوب وقد طفون غثاء

وله:

ولما استرد الصبح عارية الدجى تولى بطيئاً والدموع عـجـال
ولم أر لابن الشوق كالليل سلمـاً إلى حاجة في الصبح ليس تنال
كريم تبقت من سجاياه فـضـلـة فأضحت على خديه وهي جمال

وله:

ودار وغي ثنتها مـقـربـات براقعها شحوب أو سـهـوم
نزلت بعسكر للـطـير فـيه عساكر حول حومتها تـحـوم
بحيث سرائر الأغمـاد تـبـدو وقلب النقع للساري كـتـوم
تصالحت الحتوف على الأعادي وبيضك للطلى منها خصـوم
إذا أوردتـهـا صـدرت رواء وخلـت هـام وهـي هـيـم

وله:

إن كتم الليل حدث العـبـق عنها وبعض الحديث ينتشق
ردي على العين فهي طامعة كاس زقاد أراقـهـا الأرق

وله

علي إذا غنيت أن تطرب العلا فليت فؤادي للسرور مـنـادم
ويجهل قولي فيك قوم ولم يكن ليفهم أيك ما تقول الحـمـائم

وله:

غداة صدقت فكذبتنـي ولولا الشقاوة لم أصدق
وقد كن ما طللنا حقـبة فليت المطال علينا بقي

وله:

دمن مرضن من البلى فكأنما تأتي الرياح طلولها عـوادا
من كل مدنفة من قبل كانت للمحب

الرسوم كأنـه ... فؤادا

إن لم يطر شرر السرى مني فلا ... قدحت يدي للمكرمـات زنـادا
في كل ليل ثاكل لـصـبـاحـه ... وكأنما كسي الـظـلام حـدادا
داج إذا زرت علـى جـيوبـه ... كنت الحسام وكانت الأغـمـادا
أحسن بأخلاق الظلام وإن جـلا ... وجهاً تعوض بالشحوب سـوادا
جمل ولكن مـا يلـذ ركـوبـه ... إلا امرؤ يجد المنـى أقـتـادا
يلقاه نشوان الجـفـون وإنـمـا ... باتت مدامة مقلـتـيه سـهـادا

وله:

منازل ذات الوقف إنـي لـواقـف ... عليك وماء القلب لا الدمـع ذارف
بليت ولم يبل الجديد مـن الـهـوى ... وحلت وما حال الغرام المحـالـف
أترقا جفوني والحيا عنك ممـسـك ... ويرفق وجدي والبلى بك عانـف?
وقالوا انتشى من غير كاس ولو سقوا ... هوى لدروا أن السلاف السوالـف
ضعائف كرات اللـلـحـاظ إنـمـا ... تبرح بالجلد القوي الـضـعـائف

وله:

ليت النوى تركتنا في يد الـعـذل ... فالسقم بؤس ولكن ليس كالأجـل
صار الصدود لها أمنية مـعـهـا ... ومن لذائق طعم الموت بالغلـل?
والقلب أول من شط الفـراق بـه ... فأين مسرح هذا الخوف والوجل?

وله في عضد الدولة:

لو أن بعض سماحها فـي مـزنة ... يوماً لأورق من نداها الجلـمـد

يا راقد الأسياف إلا عـن وغـى — جفن الورى في حومتيه مسهـد
ما بال خيلك ما تقات سوى السرى — وظباك في غير الطلى ما تغمـد
عادات بيض الهند عندك أن ترى — حمراً كما مس اللجين العسجـد

وله:

ولم أر مثل الدهر مسـدى نـعـمة — يجـود بـهـا عـفـواً ويأخـذهـا
إذا كنت عذر الدهر في سوء ما جنت — يداه فذنـب أن تـعـد لـه ذنـبـا

وله:

مضيء فرند القول ماضي شباته — فلو لم يكن وشياً لقيل مـهـنـد
يفارق فاه وهو في الحسن جوهر — ويلقى عداه وهو في الوقع جلمد

وله:

خرق تصول يد الزمان فيتقى — ويجود أقوام سواه فيشـكـر
معط على شكر الصنيع وكفره — ما كل ما سقت الغمائم يثمـر
دامت لك النعما ودمت لآمـل — آرابه عن روض غيرك تذعر
وبقيت ما بقي القريض فإنـه — علق على كر الخطوب معمر

وله:

قرم بخد الحيا من جـوده خـجـل — كما بقلب الردى من بأسه وجـل
في رأيه من غرارى معيفه عوض — وفي عطاياه من صوب الحيا بدل

وله:

ظلت تعض لتوديعي أناملـهـا — فخلتها نظمت درا على عـنـم
يا رب لائمة في الحب لو علمت — أني ألذ ملامي فيك لـم تـلـم

وله:

إني إذا ما الخـل خـادعـه عني الزمان فحال عن عهدي
جانبته ولـو أنـه عـمـري وقطعته ولـو أنـه زنـدي

وله:

أتيتك طوع الشوق أمـس فـردنـي على عقبي عذر له الـمـجـد لائم
وقالوا ثنت أجفانه عـنـك غـفـوة ولا غرو قد تغفي الأسود الضراغم
ولكن نسـيم الـراح نـم وربـمـا أتتك بما لا ريب فـيه الـنـمـائم
ولو لم يكن ظرف العلا عدت منشداً: وأنت إذا استيقظت أيضـاً لـنـائم

وله:

يد موسى تذم صحـبـة فـيه هو يمحو سطور ما تولـيه
يبعث النائل الجسيم فيقـفـو ه بمن على العفاة سـفـيه
ليت أن المشيب مهديه موسى وهو مسترجع لمـا يهـديه
كأخيه الزمان يأخـذ مـا يع طي. وما ضل مقتد بأخـيه

وله:

وما قلت إلا ما علمت ولم أكن كحامد ورد لم يذق طعم غبه
وذنب زماني أهله غير أننـي أراك له عذراً محا شطر ذنبه

علي بن يوسف يعرف بابن البقال

يكنى أبا الحسن، قال أبو عبد الله الخالع: هو من أهل بغداد وممن نادم المهلبي ونفق عليه، وكانت له محاضرة حسنة وبضاعة في الأدب صالحة، وطبقة في الشعر جيدة، يذهب مذهب النامي في التطبيق والتجنيس وطلب الصنعة، وكان بكثرة نوادره ومزاحه مستطاباً متقبلاً، وكان حسن اليسار جميل الزي يلبس الدراعة، وخلف لما مات ما يزيد على مائة ألف درهم، وكانت وفاته في أيام شرف الدولة بن عضد الدولة،

ومنزله في مكة العجمي من الزبيدية بالجانب الغربي من مدينة السلام، وخلف ابنة وزوجة فأحبت امرأته أحد بني المنجم وزوجت ابنتها به، فأنفقت المال عليه وماتت الزوجة ولازمته أمها تخدمه كما تخدم المنقطعات.

قال: وكان ابن البقال بخيلاً جشعاً وكان يتلقاني في أيام عضد الدولة فيقول: يا سيدي ما عندك من حديث الشعراء؟ فأقول: قد أمر لهم بمال ولك بجائزة سنية منها كذا وكذا، ومنها كذا وكذا، وأكثر عليه فيقول:

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

ولقيني مرة والسلامي معي فسألني عن مثل ذلك فأجبته بمثل الجواب المقدم ذكره، فقال له السلامي: يكذب، والله ما أمر إلا بقطع أيديهم وأرجلهم، فقال: حوالينا الصدود ولا علينا. وأنشد الخالع لابن البقال يعاتب بعض أصدقائه:

وإني في استعطاف رأي محمد علي ومدي نحو معروفه يدي

لكالمبتغي من بعد تسعين حجة تقمصها رجع الشباب المجدد

سأشكو اعتداء منك لولاه ما درت صروف الليالي في الهوى كيف تعتدي

فلله قلبي حين أدعو إلى الهوى وأعلم حقاً أنه غير مهتدي

وله:

ولما وقفنا للوداع ودوننا عيون ترامى بالظنون ضميرها

أماطت عن الشمس المنيرة برقعاً فغيبنا عن أعين الناس نورها

وله:

يا مذنباً ويقول إني مذنب ما إن سمعت بظالم يتظلم

لك صورة ذل الجمال لحسنها تقضي بجور في النفوس وتحكم

ومن العجائب أن طرفك مشعر سقماً وأنت بسقمه لا تعلم

وله:

يا طرفها هب لطرفي لذة الوسن واستبق ما لا يفل الثوب من بدن

حاشاك في من الشكوى وإن ذهبت عيني من الدمع أو قلبي من الحزن
ولا أقول ولو أتلفـتـنـي أسـفـاً يا ليت ما كان من حبيك لـم يكـن

وله:

لئن كان طرفي فاز منك بـنـظـرة لقد عاد طرفي بالبلاء على قلـبـي
جعلت الهوى ذنبي فإن كنت مذنـبـاً به فإليك العذر مـن ذلـك الـذنـب
ولما رأيت البعد مـنـك مـقـربـي تباعدت كي أحظى على البعد بالقرب
محمد لا تجمع إلى الهـجـر غـدرة فحسبي الذي بي من فراقك يا حسبي

وله يمدح المهلبي:

أنوار أنت كمـا دعـيت نـوار؟ لم تقض منك قضاءها الأوطـار
يا لحظة لحظ الحمام مـعـيدهـا ما كان منك لنـاظـر إنـظـار
وإذا تساقطك الحديث تـخـالـه كأساً عليك من العـقـار تـدار
إني ذكرتك والغـرام مـواصـل نفساً عليك يهيجـه الـتـذكـار
متوقد منه الضـمـير كـأنـمـا نيرانه من وجـنـتـيك تـعـار
هو في الجفون إذا مرته زفـرة ماء يمور وفي الجـوانـح نـار
ولرب ليل مـن ذراك خـمـاره للنجم فيه من الغمـام خـمـار
قد قلت حين طلعت فيه كـبـدره أرأيت كيف تشابه الأقـمـار؟
يا صاحبي قفا بنـجـد عـبـرة حيث الدموع إذا ابتـدرن بـدار
في منزل لبست بما لبس البـلـى مني المشـيب عـذائر وعـذار
ولئن محتك يد لهوى ديارك في

الخطوب فما امحى الـفـؤاد ديار

ولربما اهتزت ربوعك بالـنـدى وتنفست بنسـيمـك الأسـحـار

ومنها في المدح:

وإذا بدا يوم الكريهة ضـاحـكـاً فهناك تسكب دمعها الأعـمـار

حتى إذا بصروا بـعـقـد لـوائه عقدت مهابتـهـا بـه الأسـرار

في شرب هيجاء إذا اصطبحوا القنا فالطعن سكر والحمـام خـمـار

لهم من البيض الرقـاق تـحـية في حسوها ومن الدماء عـقـار

نهضت بعبء الملك منك عـزائم للدهر بين عثـارهـن عـثـار

لك هضبة في الملك قحطـانـية طرق الحوادث نحوها أو عـار

بجبال أندية الوقار إذا احـتـبـوا وليوث ملحمة الوغى إن ثـاروا

عجباً لأبناء الـمـهـلـب إنـهـم لم يعدلوا في المجد حتى جـاروا

لم يطوهم دهر مضى إلا لـهـم بالـجـود فـي آثـاره آثـار

فعطاؤك الرزق المقسم في الورى والدهر أنت وسيفك الـمـقـدار

وله أيضاً في المهلبي:

لعينك إذ سار الخـلـيط الـمـغـور علـى كـل واد دمـعـة تـتـحـدر

نعم إن رسماً بات يطوى بـه الـنـوى محاسن كانت بـالأوانـس تـنـشـر

أرى وانياً من عـبـرة كـيف لا يني وعلم طرفـاً راقـداً كـيف يسـهـر

وقفنا ومن ألحـاظـنـا وقـلـوبـنـا لنا رائدا شوق مـسـر ومـظـهـر

يحـلـى ربـى آرامـه جفون بسمطيها من

ونـحـورنـا الدمـع جـوهـر
فمن بـين مـعـقـود يبـين فـرنـده علينا ومحـلـول عـلـيهـن ينـثـر
وسرب رمين النجـم فـي أخـرياتـه بسافرة عن وجهها الشمس تـسـفـر
بدت ويمين الصبـح يبـدو لـثـامـه فلم يدر ليل أي صـبـحـيه أنـور؟
ومادت فقلنا الغصن جادت به النـقـى بما آد من مجرى الوشاح الـمـؤزر
أعاطل أجياد الأمـانـي مـن الـتـي بها الوفر أم ما استهلك العرض أوفر؟
لئن عد فخراً لبسك المـجـد مـن أب فلبس الفتى من نفسه المجـد أفـخـر
ومواينفع الممـتـاح يجـلـو مـوارداً إذا كان ظمآنـاً مـن الـورد يصـدر
ألا بادرا عون الـعـوانـي بـرحـلة يذل بها خد مـن الـعـيس أصـعـر
أما تـريان الـلـيل يحـدو ظـلامـه بوجه القبيصي الصبـاح الـمـنـور
فتى يمتري سجـلـى نـداه وبـأسـه لهاذم تدمـي أو غـمـائم تـمـطـر
وكالـدهـر لا يدري الـذي هـو رائم بخطـب إذا مـا أمـه كـيف يحـذر
ويوم رماه الـنـقـع مـنـه بـلـيلة كواكـبـهـا فـيه الأسـنة تـزهـر
طلعن من الأغماد فـي كـل مـأزق فلا خائن إلا لها مـنـه مـضـمـر
دلفت كأن الـمـوت كـان مـؤامـراً سيوفك منه والـنـفـوس تـقـطـر
بمجر لـه فـي كـل فـج طـلـيعة وفي كل أرض منـه ذيل مـجـرر
سحبت رداء الـمـوت فـيه بـوقـعة رداء الفتى فيه من الطعـن أقـمـر
وأضحكت منه الجو به الشمس عن شمس

والنـقـع كـاتـم	بها البيض تشهر
بحيث شفوف الأتـحـمـي مـفـاضة	إذا زعزع الخطى والتاج مـغـفـر
تفرق في تفريقها الـهـام والـتـقـى	على قدر فيها الحـمـام الـمـقـدر
عزائم يرمين الـخـطـوب كـأنـمـا	يقارع منها عسكر الدهر عـسـكـر

وله في المهلبي أيضاً:

عندي لذا الدهر إعقابي إساءتـه	بالصفح إن أعقب الإصرار بالندم
أمست منازل من جنت مصافحة	أيدي النحول عليها أيدي الـقـدم
ولو ملكت لها السقيا وهامتـهـا	تكفكف المحل عنها أدمع الرحم
لقلت للسح من أيدي الـوزير إذا	حللت ناحلة الأطـلال لا تـرم
اليعربي الذي خلى الطـريق لـه	من بات يأخذ رعباً منه باللـقـم
يزاحم الليل ليل من جحـافـلـه	ويقذف الوهدات الجرد بـالأكـم
أطار منهم قذاة في عـيونـهـم	لو أنها في جفون الدهر لم ينـم
أبقى له الخوف في أثناء يقظتهـم	ما بات يرسله ليلاً إلى الحـلـم
عافت سيوفك في الهيجا لحومهم	فهن يأكلن منها إكلة البـشـم

وله أيضاً فيه:

روعة بالفراق قـبـل الـفـراق	شرقت بالدموع منها الـمـآقـي
جد جد البكا فأهـدين بـاقـي الـد	دمع منها إلى كـرى غـير بـاق
فاض تندى به الخـدود ولـو غـا	ض لأمست منه الحشا في احتراق
وعذارى تدنيك من سربها الـعـي	س دنـو الأجـفـان لـلأحـداق

مخطفات لو شئن مـن هـيف ال خصر تبدلن خاتماً مـن نـطـاق
حاليات تبدي المعاصـم والـسـو ق وتخفي الأجياد فـي الأطـواق
لا يغرنك غفلة الدهـر فـالـعـز مة إمضـاؤهـا مـع الإطـراق
قد أرانا ابتسـامة الـدهـر لـمـا أطلع الجود شمسه بـالـعـراق
بالمصفى اللباب والأروع الـبـس سام بشراً والـفـاتـق الـرتـاق
ومعير معانـدي الـمـلـك حـدا ماضياً في شقاقهـم والـنـفـاق
حين حر الهوى بحـران والـبـي ض لها من غمائم الـهـام سـاق
بعد ما زعـزع الـجـزيرة بـال خطي يكرعن في الدماء الدفـاق
وأطارت بجو سـنـجـار الـمـو ت ظـبـاه نـاراً بـلا إحـراق
في غمام من الـعـجـاج ووبـل يسم الأرض من حميم الـعـتـاق
حين والى بهـا شـوازب يفـض ين إلى كـل دارة مـن طـراق
كالحات كأنـمـا نـفـث الـص اب الغوالي منهن فـي الأشـداق

وكان ابن البقال يترفع عن الاختلاط بالشعراء ويتكبر عليهم، وكان الرؤساء يكرمونه ويقومون له إذا دخل إليهم، وكان ابن العميد يقدمه على الناس كلهم ويعظمه، وأحضره المهلبي فأنشده بحضرة المتنبي قصيدة فيه.

قال: فحدثني الإمام الهاشمي قال: قال لي المتنبي: ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال. قال ابن عبد الرحيم: وحدثني الأستاذ أبو الحسين بن محفوظ وقد جرى ذكر ابن البقال فقال: كان أقل ما فيه الشعر، فغلب عليه وعرف به، وإنه كان يضطلع بعلوم كثيرة من جملتها الكلام، وكان قوياً فيه

مقدماً في المعرفة به، وكان يقول بتكافؤ الأدلة وهو بئس المذهب.
عمارة بن حمزة الكاتب من ولد أبي لبابة
مولى عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، مولى السفاح، ثم مولى أبي جعفر المنصور. وكان تياها معجباً، جواداً كريماً، معدوداً في سراة الناس، وكان فصيحاً بليغاً، وكان أعور دميماً، وكان المنصور والمهدي بعده يقدمانه ويحتملان أخلاقه، لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه، وولى لهما أعمالاً كباراً. وله تصانيف: منها كتاب رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس، كتاب رسائله المجموعة، كتاب الرسالة الماهانية معدودة في كتب الفصاحة الجيدة، وكان يقال: بلغاء الناس عشرة: عبد الله بن المقفع، وعمارة بن حمزة، وخالد بن يزيد، وحجر بن محمد بن محمد بن حجر، وأنس بن أبي شيخ، وسالم بن عبد الله، ومسعدة، والهزبر بن صريح، وعبد الجبار بن عدي، وأحمد بن يوسف بن صبيح. قال أبو عبد الله محمد بن عبدوس: قلد أبو العباس السفاح عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد أبي لبابة مولى عبد الله بن العباس صياع مروان وآل مروان، خلا ضياع لولد عمر بن عبد العزيز فإنها لم تقبض، وضياع من والاهم وساعدهم.
وقال الخطيب: عمارة من ولد عكرمة مولى ابن عباس، جمع له بين ولاية البصرة، وفارس، والأهواز، واليمامة، والبحرين، والعرض، وهذه الأعمال جمعت للمعلى بن طريف صاحب نهر المعلى، ولمحمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. وكان عمارة سخياً سرياً جليل القدر، رفيع النفس، كثير المحاسن، وله أخبار حسان، وكان أبو العباس يعرف عمارة بالكبر وعلو القدر وشدة التنزه، فجرى بينه وبين أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية كلام فاخرته فيه بأهلها، فقال لها أبو العباس: أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالي، ليس في أهلك مثله ثم أمر بإحضار عمارة على الحال التي يكون عليها، فأتاه الرسول في الحضور فاجتهد في تغيير زيه، فلم يدعه، فجاء به إلى أبي العباس، وأم سلمة خلف الستر، وإذا

عمارة في ثياب ممسكة قد لطخ لحيته بالغالية، حتى قامت واستتر شعره، فقال: يا أمير المؤمنين ما كنت احب أن تراني على مثل هذه الحال، فرمى إليه بمدهن كان بين يديه فيه غالية، فقال: يا أمير المؤمنين، أترى لها في لحيتي موضعاً؟ فأخرجت إليه أم سلمة عقداً وكان له قيمة جليلة، وقالت للخادم: أعلمه أنني أهديته إليه فأخذه بيده، وشكر أبا العباس ووضعه بين يديه ونهض، فقالت أم سلمة لأبي العباس: إنما أنسيه، فقال أبو العباس للخادم: ألحقه به وقل له: هذا لك، فلم خلفته؟ فاتبعه الخادم فلما وصل إليه قال له: ما هو لي، فاردده، فلما أدى الرسالة قال له: إن كنت صادقاً فهو لك، وانصرف الخادم بالعقد، وعرف أبا العباس ما جرى، وامتنع من من رده على أم سلمة وقال: قد وهبه لي فاشتريه بعشرين ألف دينار: وكان عمارة يقول: يخبز في داري ألفا رغيف في كل يوم، يؤكل منها ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفاً حلالاً، وآكل منها رغيفاً واحداً حراماً، وأستغفر الله، وكان يقول: ما أعجب قول الناس: فلان رب الدار، إنما هو كلب الدار وكانت نخوة عمارة وتيهه يتواصفان ويستسرفان، فأراد أبو جعفر أن يعبث به، وخرج يوماً من عنده فأمر بعض خدمه أن يقطع حمائل سيفه لينظر أيأخذه أم لا؟ وسقط السيف، ومضى عمارة ولم يلتفت وحدث ميمون بن هارون عمن يثق به: أن عمارة بن حمزة كان من تيهه إذا أخطأ يمضي على خطئه ويتكبر عن الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون من ذلك. وكان عمارة بن حمزة يوماً يماشي المهدي في أيام المنصور ويده في يده، فقال له رجل: من هذا أيها الأمير؟ فقال: أخي وابن عمي عمارة بن حمزة، فلما ولى الرجل ذكر المهدي ذلك لعمارة كالمازح، فقال عمارة: إنما انتظرت أن تقول: مولاي، فأنفض والله يدي من يدك، فضحك المهدي.

وحكى عن عمارة بن حمزة أنه قال: انصرفت يوماً من دار أبي جعفر المنصور بعد أن بايع للمهدي بالعهد إلى منزلي، فلما صرت إليه صار إلي المهدي فقال: قد بلغني أن أمير المؤمنين قد عزم على أن يبايع لأخي

جعفر بالعهد بعدي، وأعطي الله عهداً لئن فعل لأقتلنه.
قال: فمضيت من فوري إلى أمير المؤمنين، فلما دخلت إليه قال: هيه يا عمارة، ما جاء بك؟ قلت: أمر حدث، أنا ذاكره، قال: فأنا أخبرك به قبل أن تخبرني، جاءك المهدي فقال لك: كيت وكيت، قلت: والله يا أمير المؤمنين لكأنك كنت ثالثنا، قال: قل له: نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك يا أبا عبد الله. وقال محمد بن يزداد: قلد المنصور عمارة بن حمزة الخراج بكور دجلة، والأهواز وكور فارس، وتوفي المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة وعمارة يتقلد جميع هذه الكور، وبلغ موسى الهادي حال بنت لعمارة جميلة فراسلها، فقالت لأبيها ذلك: فقال: ابعثي إليه في المصير إليك، وأعلميه أنك تقدرين على إيصاله إليك في موضع يخفي أثره، فأرسلت إليه بذلك، وحمل موسى نفسه على المصير إليها، فأدخلته قد فرشت وأعدت له، فلما حصل فيها دخل عليه عمارة فقال له: السلام عليك أيها الأمير، ماذا تصنع ههنا؟ اتخذناك ولي عهد فينا، أو فحلاً لنسائنا؟ ثم أمر به فبطح في موضعه، وضربه عشرين درة خفيفة ورده إلى منزله، فحقد الهادي ذلك عليه، فلما ولي الخلافة دس عليه رجلاً يدعي عليه أنه غصبه الضيعة المعروفة بالبيضاء بالكوفة، وكانت قيمتها ألف ألف درهم، فبينا الهادي ذات يوم قد جلس للمظالم وعمارة بن حمزة بحضرته إذ وثب الرجل فتظلم منه، فقال له الهادي: قم فاجلس مع خصمك، وإن كانت له فهي له، ولا أساوي هذا النذل في المجلس، ثم قام وانصرف مغضباً، وقلد المهدي عمارة بن حمزة الخراج بالبصرة، فكتب إليه يسأله أن يضم إليه الأحداث مع الخراج ففعل ذلك، وقلده الأحداث مضافة إلى الخراج، وكان عمارة أغور دميماً، فقال فيه بعض أهل البصرة:

أراك وما تـرى إلا بـعـين ... وعينك لا ترى إلا قـلـيلا
وأنت إذا نظرت بملء عـين ... فخذ من عينك الأخرى كفيلا
كأني قد رأيتك بعد ... ببطن الكف تلتمس

شـهـر السبـيلا

ومدحه سلمة بن عباس فقال:

بلوت وحربت الرجال بخبـرة وعلم ولا ينبيك عنهم كخابـر
فلم أر أحرى من عمارة فيهـم بود ولا أوفى بجار مـجـاور
وأكرم عند النـائبـات بـداهة إذا نزلت بالناس إحدى الدوائر
تمسك بحبل من عمارة واعتصم بركن وفي عهده غير غـادر
كأن الذي ينتابه عـن جـنـاية يمت بقربي عنـده وأواصـر
فنعم معاذ المستجير ومنزل ال كريم ومثوى كل عـان وزائر

ولعمارة شعر، منه ما أنشده الجهشياري:

لا تشكون دهراً صححت به إن الغني في صحة الجسم
هبك الإمام أكنت منتفـعـاً بغضارة الدنيا مع السقم?

وكرهه أهل البصرة لتيهه وعجبه، فذكر الأرقط: أنه رفع أهل البصرة على عمارة أنه أختان مالاً كثيراً، فسأله المهدي عن ذلك فقال: والله يا أمير المؤمنين، لو كانت هذه الأموال التي يذكرونها في جانب بيتي ما نظرت إليها، فقال: أشهد إنك لصادق ولم يراجعه فيها. ودخل صالح بن خليل الناسك على المهدي فوعظه وأبكاه طويلاً، وذكر له سيرة العمرين، فأجابه المهدي: بفساد الزمان وتغير أهله وما حدث له من العادات، وذكر له جماعة من أصحابه وما لهم من الأموال والنعمة، وذكر فيهم عمارة بن حمزة وقال: بلغني أن له ألف دواج بوبر، سوى مالا وبر فيه، وسوى غيها من الأصناف التي يتدثر بها، وكان الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك شديد الكبر، عظيم التيه والعجب، فعوتب في ذلك فقال: هيهات، هذا شيء حملت عليه نفسي، لما رأيته من عمارة بن حمزة، فإن أبي كان يضمن فارس من المهدي، فحل عليه ألف ألف درهم، فأخرج ذلك كاتب الديوان، فأمر المهدي أبا

عون عبد الله بن يزيد بمطالبته وقال له: إن أدى إليك المال قبل أن تغرب الشمس من يومنا هذا وإلا فأتني برأسه، وكان متغضباً عليه، وكانت حيلته لا تبلغ عشر المال، فقال لي: يا بني إن كانت لنا حيلة فليس إلا من قبل عمارة بن حمزة وإلا فأنا هالك، فامض إليه فمضيت إليه، فلم يعرني الطرف، ثم تقدم من ساعته بحمل المال فحمل إلينا، فلما مضى شهران جمعنا المال فقال أبي: امض إلى الشريف الحر الكريم فأد إليه ماله، فلما عرفته خبره غضب وقال: ويحك! أكنت قسطاراً لأبيك؟ فقلت: لا، ولكنك أحييته ومننت عليه، وهذا المال قد استغنى عنه. فقال: هو لك. فعدت إلى أبي فقال: لا، والله ما تطيب نفسي لك به، ولكن لك منه مائتا ألف درهم، فتشبهت به حتى صار خلقاً لي لا أستطيع مفارقته. وحدث أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في كتاب له صنفه في السخاء: حدثنا القاضي الحسن بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن سعد الوراق، حدثني هارون بن محمد بن إسماعيل القرشي قال: أخبرني عبد الله بن أبي أيوب المكي قال: بعث أبو أيوب المكي بعض ولده إلى عمارة بن حمزة، فأدخله الحاجب، قال: ثم أدناني إلى ستر مسبل فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو مضطجع محول وجهه إلى الحائط، فقال لي الحاجب: سلم، فسلمت ولم يرد السلام، فقال الحاجب: اذكر حاجتك، فقلت له: - جعلني الله فداءك - أخوك أبو أيوب يقرئك السلام، ويذكر ديناً بهضه وستر وجهه، ويقول: لولاه لكنت مكان رسولي، تسأل أمير المؤمنين قضاءه عني، فقال: وكم دين أبيك؟ فقلت: ثلاثمائة ألف درهم، فقال: وفي مثل هذا أكلم الأمير؟ يا غلام: احملها معه، وما التفت إلي ولا كلمني غير هذا.

قال الدارقطني: حدثنا حسين بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن أبي سعيد، حدثنا إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي، حدثنا محمد بن سلام الجمحي، حدثنا الفضل بن الربيع قال: كان أبي يأمرني بملازمة عمارة بن حمزة، قال: فاعتل عمارة وكان المهدي سيئ الرأي فيه، فقال له أبي يوماً: يا أمير المؤمنين، مولاك عمارة عيلي، وقد

أفضى إلى بيع فرشه وكسوته. فقال: غفلنا عنه، وما كنت أظن أنه بلغ إلى هذه الحالة! احمل إليه خمسمائة ألف درهم يا ربيع، وأعلمه أن له عندي بعدها ما يحب. قال: فحملها أبي من ساعته وقال لي: اذهب بها إلى عمك وقل له: أخوك يقرئك السلام ويقول: أذكرت أمير المؤمنين أمرك، فاعتذر من غفلته عنك، وأمر لك بهذه الدراهم وقال: لك عندي ما تحب. قال: فأتيته ووجهه إلى الحائط، فسلمت فقال لي: من أنت؟ فقلت له: ابن أخيك الفضل بن الربيع. فقال: مرحباً بك، وأبلغته الرسالة فقال: قد كان طال لزومك لنا، وقد كنا نحب أن نكافئك على ذلك ولم نتمكن قبل هذا الوقت، انصرف بها فهذه لك. قال: فهبته أن أرد عليه، فتركت البغال على بابه وانصرفت إلى أبي، فأعلمته الخبر فقال لي: يا بني، خذها - بارك الله لك فيها - فليس عمارة ممن يراجع، فكان أول مال ملكته.
قال ابن عبدوس: وكان الماء زائداً في أيام الرشيد، فركب يحيى بن خالد والقوا ليعرفوا المواضع المخوفة من الماء ليحفظوها، ففرق القواد، وأمر بإحكام المسنيات، وسار إلى الدور، فوقف ينظر إلى قوة الماء وكثرته. فقال قوم: ما رأينا مثل هذا الماء! فقال يحيى: قد رأيت مثله في سنة من السنين، وكان أبو العباس خالد - يعني أباه - وجهني فيها إلى عمارة بن حمزة في أمر رجل كان يعنى به من أهل جرجان، وكانت له ضياع بالري، فورد عليه كتابه يعلمه أن ضياعه تحيفت فخربت، وأن نعمته قد نقصت، وحاله قد تغيرت، وأن صلاح أمره في تأخيره بخراجه سنة، وكان مبلغه مائة ألف درهم، ليتقوى به على عمارة ضيعته، ويؤديه في السنة المستقبلة، فلما قرأ أبي كتابه غمه وبلغ منه، وكان بعقب ما ألزمه إياه أبو جعفر من المال الذي خرج عليه، فخرج به عن ملكه واستعان بجميع إخوانه فيه، فقال: يا بني: من ههنا نفزع إليه في أمر هذا الرجل؟ فقلت: لا أدري. فقال: بلى عمارة بن حمزة، فصر إليه وعرفه حال الرجل، فصرت إليه وقد أمدت دجلة، وكان ينزل في الجانب الغربي، فدخلت إليه وهو مضطجع على فراشه فأعلمته ذلك، فقال: قف لي غداً بباب الجسر ولم يزد

على ذلك، فنهضت ثقيل الرجلين، وعدت إلى أبي العباس والدي بالخبر، فقال لي: يا بني، تلك سجيته، فإذا أصبحت فاغد لوعده، فغدوت إلى باب الجسر، وقد جادت دجلة في تلك الليلة بمد عظيم قطع الجسور، وانتظم الناس من الجانبين جميعاً ينظرون إلى زيادة الماء، فبينا أنا واقف إذا بزورق قد أقبل والموج يخفيه مرة ويظهره أخرى، والناس يقولون: غرق، غرق، نجا، نجا، حتى دنا من الجرف، فإذا عمارة بن حمزة في الزورق بلا شيء معه، وقد خلف دوابه وغلمانه في الموضع الذي ركب منه، فلما رأيته نبل في عيني وملأ صدري، فنزلت وغدوت إليه فقلت: - جعلت فداك - في مثل هذا اليوم؟ فأخذت بيده فقال: كنت أعدك وأخلف يا بن أخي؟ اطلب لي برذون كراء، قال: فقلت: برذوني، فقال: هات، فقدمت إليه برذوني فركب، وركبت برذون غلامي، وتوجه يريد أبا عبيد الله وهو إذ ذاك على الخراج، والمهدي ببغداد خليفة للمنصور، والمنصور في بعض أسفاره.

قال: فلما طلع على حاجب أبي عبيد الله، دخل بين يديه إلى نصف الدار ودخلت معه، فلما رآه أبو عبيه الله قام عن مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه، فأعلمه عمارة حال الرجل وسأله إسقاط خراجه، وهو مائتا ألف دينار، وإسلافه من بيت المال مائتي ألف يردها في العام المقبل فقال له أبو عبيه الله: هذا لا يمكنني، ولكني أؤخره بخراجه إلى العام المقبل. فقال له: لست أقبل غير ما سألتك، فقال أبو عبيد الله فاقنع بدون ذلك لتوجد لي السبيل إلى قضاء حاجة الرجل. فأبى عمارة وتلوم عبيد الله قليلاً، فنهض عمارة فأخذ أبو عبيد الله بكمه وقال: أنا أحتمل ذلك في مالي، فعاد إلى مجلسه. وكتب أبو عبيد الله إلى عامل الخراج بإسقاط خراج الرجل لسنته، والاحتساب به على أبي عبيد الله وإسلافه مائتي ألف درهم ترتجع منه في العام المقبل، فأخذت الكتاب وخرجنا فقلت له: لو أقمت عند أخيك ولم تعبر في هذا المد؟ قال: لست أجد بداً من العبور، فصرت معه إلى الموضع ووقفت حتى عبر.

هذي المكارم لا شيبا بماء فعادا بعـد

قعبان من لبن أبـوالا

ودخل عمارة يوماً على المهدي فأعظمه، فلما قام قال له رجل من أهل المدينة من القرشيين: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام كله؟ فقال: هذا عمارة بن حمزة مولاي، فسمع عمارة كلامه، فرجع إليه فقال: يا أمير المؤمنين، جعلتني كبعض خبازيك وفراشيك، ألا قلت: عمارة بن حمزة بن ميمون، مولى عبد الله بن عباس ليعرف الناس مكاني؟.

عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد

ابن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الإمام الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يكنى أبا البركات من أهل الكوفة، إمام من أئمة النحو واللغة والفقه والحديث، مات فيما ذكره السمعاني في شعبان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في أيام المقتفي، ودفن في المسبلة التي للعلويين، وقدر من صلى عليه بثلاثين ألفاً، وكان مولده في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، أخذ النحو عن أبي القاسم زيد بن علي الفارسي، عن أبي الحسين عبد الوارث، عن خاله أبي علي الفارسي، وأخذ عنه أبو السعادات بن الشجري، وأبو محمد بن بنت الشيخ.

قال السمعاني: وكان خشن العيش صابراً على الفقر، قانعاً باليسير، سمعته يقول: أنا زيدي المذهب، ولكني أفتي على مذهب السلطان - يعني أبا حنيفة -. سمع ببغداد أبا بكر الخطيب، وأبا الحسين بن الناقور، وبالكوفة أبا الفرج محمد بن علاء الخازن وغيره، ورحل إلى الشام وسمع من جماعة، وأقام بدمشق وحلب مدة قال: وحضرت عنده وسمعت منه، وكان حسن الإصغاء سليم الحواس، ويكتب خطاً مليحاً سريعاً على كبر سن، وكنت ألازمه طول مقامي بالكوفة في الكور الخمس، وما سمعت منه في طول ملازمتي له شيئاً في الاعتقاد أنكرته، غير أني كنت يوماً قاعداً في باب داره وأخرج لي شذرة من مسموعاته، وجعلت أفتقد فيها حديث الكوفيين، فوجدت فيها جزءاً مترجماً بتصحيح الأذان بحي على خير العمل، فأخذته لأطالعه فأخذه من يدي وقال: هذا لا يصلح لك، وله طالب غيرك، ثم قال: ينبغي للعالم أن يكون عنده كل شيء، فإن لكل نوع طالباً.

وسمعت يوسف بن محمد بن مقلد يقول: كنت أقرأ على الشريف عمر جزءاً فمر بي حديث فيه ذكر عائشة فقلت: - رضي الله عنها - فقال لي الشريف: تدعو لعدة علي؟ أو تترضى على عدوة علي؟! فقلت: حاشا وكلا، ما كانت عدوة علي. وسمعت أبا الغنائم ابن النرسي يقول: كان الشريف عمر جارودي المذهب لا يرى الغسل من الجنابة، وسمعته يقول: دخل أبو عبد الله الصوري الكوفة فكتب بها عن أربعمائة شيخ، وقدم علينا هبة الله بن المبارك السقطي، فأفدته عن سبعين شيخاً من الكوفيين، وما بالكوفة اليوم أحد يروي الحديث غيري، ثم ينشد:

إني دخلت اليمنـا لم أر فيها حسنـا
ففي حرام بـلـدة أحسن من فيها أنا

قال المؤلف: وحكى أن أعرابيين مرا بالشريف عمر وهو يغرس فسيلاً، فقال أحدهما للآخر: أيطمع الشيخ مع كبره أن يأكل من جني هذا الفسيل؟! فقال الشريف: يا بني، كم من كبش في المرعى وخروف في التنور، ففهم أحدهما ولم يفهم الآخر، فقال الذي

لم يفهم لصاحبه: إيش، قال؟ قال: إنه يقول: كم من ناب يسقى في جلد حوار، فعاش حتى أكل من ثمر ذلك الفسيل. وللشريف تصانيف، منها: كتاب شرح اللمع.

وكان إبراهيم بن محمد أبو الشيخ أبي البركات أيضاً شاعراً أديباً ذا حظ من النحو واللغة، وهو مذكور في بابه. قال تاج الإسلام: سمعت عمر بن إبراهيم بن محمد الزيدي يقول: لما خرجنا من طرابلس الشام متوجهين إلى العراق، خرج لوداعنا الشريف أبو البركات بن عبيد الله العلوي الحسني، وودع صديقاً لنا يركب البحر إلى الإسكندرية، فرأيت خالك يتفكر فقلت له: أقبل على صديقك، فقال لي: قد عملت أبياتاً اسمعها، فأنشدني في الحال:

قربوا للنوى القوارب كيما ... يقتلوني ببينهم والفراق
شرعوا في دمي بتشديد شرع ... تركوني من شدها في وثاق
قلعوا حين أقلعوا لفؤادي ... ثم لم يلبثوا لقدر الفواق
ليتهم حين ودعوني وساروا ... رحموا عبرتي وطول اشتياقي
هذه وقفة الفراق فهل أح ... يا ليوم يكون فيه التلاقي?

قال في تاريخ الشام: حكى أبو طالب بن الهراس الدمشقي - وكان حج مع أبي البركات -: أنه صرح له بالقول بالقدر وخلق القرآن، فاستعظم أبو طالب ذلك منه وقال: إن الأئمة على غير ذلك، فقال له: إن أهل الحق يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بأهله، قال: هذا معنى حكاية أبي طالب.

عمر بن بكير

كان صاحب الحسن بن سهل خصيصاً به ومكيناً عنده يسائله عن مشكلات الأدب، وكان رواية ناسباً أخبارياً نحوياً، وله عمل الفراء كتاب معاني القرآن، وذكر ذلك في أخبار الفراء.

قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب الأيام

يتضمن يوم الغول، يوم الظهر، يوم أرمام، يوم الكوفة، غزوة بني سعد بن زيد مناة، يوم مبايض.
حدث ميمون بن هارون قال: حدثني أبو الحسن محمد بن عمر بن بكير قال: كان أبي بين يدي المنتصر وهو أمير، وأحمد بن الخصيب كاتب المنتصر فقال: دعنا من الرسوم الدائرة والعظام البالية، فوثب عمر بن بكير فقال: أيها الأمير: إن للحسن بن سهل علي نعماً عظاماً، وله في عنقي منن جمة، فقال: ما هي يا عمر؟ قال: ملأ يأيها الأمير منزلي ذهباً وفضة، وأدنى مجلسي حتى زال عن مجلسه، وخلع علي فألحقني برؤساء أهل العلم، كأبي عبيدة والأصمعي، ووهب بن جرير وغيرهم، وقد أقدرني الله بالأمير على مكافأته، وهذا من أوقاته، فإن رأى الأمير أن يسهل إذنه، ويجعل ذلك على يدي وحبوة لي وذريعة إلى مكافأة الحسن فعل، فقال: يا أبا حفص، بارك الله عليك، فمثلك يستودع المعروف، وعندك يتم البر، ومثلك يرغب الأشراف في اتخاذ الصنائع، وقد جعلت إذن الحسن إليك، فأدخله في أي وقت حضر من ليل أو نهار، ولا سبيل لأحد من الحجاب عليه، فقبل أبي البساط ووثب إلى الباب، فأدخل الحسن وأتكأه على يده، فلما سلم على المنتصر أمره بالجلوس فجلس وقال له: قد صيرت إذنك إلى أبي حفص، ورفعت يد الحاجب عنك، فاحضر إذا شئت من غدو أو رواح، وارفع حوائجك، وتكلم بكل ما في صدرك، فقال الحسن: أيها الأمير، والله ما أحضر طلباً للدنيا، ولا رغبة فيها ولا حرصاً عليها، ولكن عبد يشتاق إلى سادته، وبلقائهم يشتد ظهوره، وينبسط أمله، وتتجدد نعم الله عنده، وما أحضر لغير ذلك، وأحمد بن الخطيب يتقد غيظاً، فقال له المنتصر: فاحضر الآن أي وقت شئت، فأكب الحسن على البساط فقبله شكراً ونهض. قال أبي: ونهضت معه، فلما بعدنا عن عين المنتصر بلغني أن المنتصر قال: هكذا فليكن الشاكرون، وعلى أمثال هذا فلينعم المنعمون. وقال الحسن لعمر يا أبا حفص: والله ما أدري بأي لسان أثني عليك؟ فقال: سبحان الله، أنا أولى بالشكر والثناء عليك والدعاء لك، خولتني الغنى وألبستني النعمى في الزمان الصعب،

وفي الحال التي كان يجفوني فيها الحميم، فجزاك الله عني وعن ولدي أفضل الجزاء.
فقال الحسن: وا لهفتا، ألا يكون ذلك المعروف أضعاف ما كان. لا در در الفوت، وتعساً للندم وأحواله، والله در الخزيمي حيث يقول:

ودون النوى في كل قلب ثنـية لها مصعد حزن ومنحدر سهل
وود الفتى في كل نيل ينـيلـه إذا ما انقضى لو أن نائله جذل

ثم قال لي أبي: يا محمد اخرج معه - أعزه الله - حتى تؤديه إلى منزله. قال أبو الحسن: فخرجت معه فلم أزل أحادثه حتى جرى ذكر رزين العروضي الشاعر، وكان قد امتدحه بقصيدة، فمات رزين قبل أن يوصلها إلى الحسن، فقلت: أيد الله الأمير، كان شاعر من أهل العلم والأدب مدح الأمير بقصيدة وهي في العسكر مثل، ومات قبل أن يسمعها الأمير، قال: فأسمعنيها، فأنشدته إياها وأولها:

قربوا جمالهم للـرحـيل غدوة أحبتك الأقربـون
خلفوك ثم مضوا مدلجين منفرداً بهمك ما ودعوك

وفيها:

من مبلغ الأمير أخي المكرمـات مدحة محـبـرة فـي ألـوك؟
تزدهي كواسطة في الـنـظـام فوق نحر جارية تـسـتـبـيك
يابن سادة زهـر كـالـنـجـوم محـيياً سـيادة مـا أولــوك
ذو الرياستين أخوك الـنـجـيب فيه كـل مـكـرمة وفــيك
ذو الرياسـتـين وانـت الـذان يحييان سـنة غـازي تـبـوك
لم تـزالا حـياً لـلـبـــلاد والعباد ما لكمـا مـن شـريك
أنتما إن أقحـط منتهى الغياث ومأوى

الـعـالـمـون الضـريـك

يابن سهل الحسن المسـتـغـاث وفي الوغى إذا اضطرب الفكيك

يا لمن ألـح عـلـيه الـزمـان مفزع لغيرك يا بن الـمـلـوك

لا ولا وراءك لـلـراغـبـيـن مطلب سـواك حـاشـا أخـيك

والقصيدة غريبة العروض، قال أبو الحسن: وأنا والله أنشده وعيناه تهمي على خده فتقطر على نحره، ثم قال: والله ما أبكي إلا لقصور الأيام عما أريده لقاصدي، ثم جعل يتلهف ويقول: ما الذي منعه من اللقاء، تعذر الحجاب أم قعود الأسباب؟ فقلت: اعتل - جعلني الله فداك - على توفي فيها، فجعل يترحم عليه ثم قال: والله لا أكون أعجز من عاقمة بن علاثة حيث مات قبل وصول النابغة إليه بالقصيدة التي رحل بها إليه حيث يقول:

فما كان بيني لو لقيتك سالماً وبين الغنى إلا ليال قلائل

الأبيات، فبلغت الأبيات علقمة فأوصى له بمثل نصيب ابن له، ولكن هل لهذا الشاعر وارث؟ قلت: نعم، بنية، قال: تعرف مكانها؟ قلت: نعم، قال: والله ما يتسع وقتي هذا لما أنويه ولكن القليل والعذر يسعنا، ثم دعا غلاماً وقال: هات، ما بقي من نفقة شهرنا. فأتى بألفي درهم في صرة فدفعها إلي وقال: يا أبا الحسن، خذ ألفاً وأعط الصبية ألفاً، فأخذت الألفين وانصرفت وعملت بما أمرني به. ومات الحسن بن سهل بسر من رأى في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل.

قال المؤلف: ما نسب إلى علقمة في هذه الحكاية غلط. لأن الوارد عليه هو الخطيئة، وكان علقمة والياً على حوران، فلما قاربه مات علقمة، فقال الخطيئة الأبيات. لكن هكذا هذه الحكاية، ولا أدري كيف حالها؟